# دلالة الظاهر عند أبي حيان في تفسيره البحر المحيط

## سورة البقرة دراسة تطبيقية

**أ. د. عبد الله بن صالح بن عبد الله الخضيري**

الأستاذ في قسم الكتاب والسنة – كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى

askhedhairi@uqu.edu.sa

**ملخص البحث:** تكمن مشكلة هذا البحث في أن دلالة الظاهر بالرغم من أهميتها، وعناية أبي حيان بها إلا أنها لم تدرس حتى الآن، وهو ما يتولى هذا البحث بيانه، وهو يهدف إلى بيان مكانة دلالة الظاهر عند أبي حيان في تفسير القرآن الكريم، وتوضيح وظائفها عنده، وقد استخدم الباحث لتحقيق أهدافه المنهج الوصفي، والتحليلي، وتوصل إلى أن أبا حيان كان له عناية خاصة ببيان ما تدل عليه ظواهر النصوص، وأن مكانة دلالة الظاهر تتضح عنده من خلال وظائفه الكثيرة التي يؤديها وتسهم في الوصول للفهم السديد للنصوص، وبيان المعاني، والترجيح، ورد بعض الأقوال في التفسير، ومن تلك الوظائف التي ذكرها أبو حيان في سورة البقرة: دلالة الظاهر على العموم والخصوص، ودلالة الظاهر على مفسر الضمير، ودلالة الظاهر على الاستئناف أو العطف، ودلالة الظاهر على تعيين المخاطب والمعنى المراد، ودلالة الظاهر على الإطلاق أو التقييد، ودلالة الظاهر على الحقيقة أو المجاز، ودلالة الظاهر على الحذف، ودلالة الظاهر على معاني الحروف، ودلالة الظاهر على التأسيس أو التأكيد، وقد خرج الباحث بتوصيات منها: دراسة ترجيحات أبي حيان في كتابه البحر المحيط كاملاً، وعقد مقارنة بين تفسير أبي حيان، وبين المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، فيما يتعلق بالعمل بظاهر النص القرآني كذلك.

**الكلمات المفتاحية:** دلالة الظاهر – أبو حيان – تفسير البحر المحيط – سورة البقرة.

دلالة الظاهر عند أبي حيان في تفسيره البحر المحيط - سورة البقرة دراسة تطبيقية

أ. د. عبد الله بن صالح بن عبد الله الخضيري

# The External Significance by Abu Hayyan in his Interpretation of Al-Bahr Al-Muheet: Surat Al-Baqara, An Applied Study

**Prof. ABDULLAH BIN SALEH BIN ABDULLAH AL-KHUDAIRI**
Professor in The Qur'an and the Sunnah- College of Da'wah and Fundamentals of Religion, Umm Al-Qura
askhedhairi@uqu.edu.sa

**Abstract:**

The issue of this research lies in the fact that the external significance, despite its importance, and Abu Hayyan's concern for it, has not been studied yet, which is what this research undertakes to explain. It aims to clarify the status of the external significance according to Abu Hayyan in the interpretation of the Holy Quran, and to clarify the functions of the external significance according to him.

The researcher has adopted the descriptive, inductive, and analytical approach, and concluded that Imam Abu Hayyan had a special interest in explaining what is indicated by the externals of the texts, that the status of the external significance is clear to him through its many functions he performs and contributes to reaching a good understanding of the texts, clarifying the meanings, weighting, refuting some of the sayings in the interpretation, among those functions that Abu Hayyan mentioned in Surat Al-Baqarah: The external significance of the generality and the specificity, the external significance of the pronoun interpreter, the external significance of the resumption or conjunction, the external significance to specify the addressee and the intended meaning, the external significance of the absolute or the restriction, the external significance of the truth or the metaphor, the external significance of the omission, the external significance of the meanings of the letters, and the external significance of the establishing or affirmation.

The researcher came out with recommendations, including: The study of Abu Hayyan's weightings in his book Al-Bahr Al-Muheet in full, a comparison was made between Abu Hayyan's interpretation, and Al-Muharir Al-Wajiz fi Tafsir Al-Kitaab Al-Aaziz, by Ibn Attia, with regard to working with the external meaning of the Quranic text as well.

**Keywords:** External Significance, Abu Hayyan, Interpretation of Al-Bahr Al-Muheet, Surat.

# دلالة الظاهر عند أبي حيان في تفسيره البحر المحيط - سورة البقرة دراسة تطبيقية

أ. د. عبد الله بن صالح بن عبد الله الخضيري

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد:** فإن الله سبحانه وتعالى قد أنزل كتابه الكريم ليكون منهجًا للناس في سيرهم إلى الله، ومرجعًا لهم عند اختلافهم، وأنزله بلسان عربي مبين، قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[الشعراء: ١٩٥] "أي: هذا القرآن الذي أنزلناه إليك أنزلناه بلسانك العربي الفصيح الكامل الشامل، ليكون بيّنًا واضحًا ظاهرًا، قاطعًا للعذر، مقيمًا للحجة، دليلا إلى المحجة"(١).

وتتنوع دلالة ألفاظه على معانيها؛ فمنها ما يتبادر إلى الذهن بمقتضى نزوله بسان عربي مبين، – وهو أكثر النصوص –، ومنها ما يحتاج لتدبر وتأمل ونظر، ودلالة ظاهر القرآن الكريم حجة بينة حتى يكون ميسرًا للتبشير والإنذار، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾[مريم: ٩٧].

ولقد عني المفسرون ببيان دلالة ظاهر ألفاظ القرآن الكريم، متقدمهم ومتأخرهم، ومنهم الإمام أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، الذي كان له عناية خاصة ببيان ما تدل عليه ظواهر النصوص، وأحسبه من أكثر المفسرين عناية؛ إن لم يكن أكثرهم على الإطلاق، ويكفي للتدليل على ذلك إلقاء نظرة على تفسير سورة أو مجموعة سور في تفسيره.

ولقد تتبع الباحث سورة البقرة، فخرج بجملة كثيرة جدًا، من التطبيقات لدلالة ظاهر الآيات القرآنية، وإعماله تعميمًا وتخصيصًا، وإطلاقًا وتقييدًا وغيرها من الوظائف، مما حدا به لتأصيل هذه القضية عنده، وجعلها تحت عنوان: (دلالة الظاهر عند أبي حيان في تفسيره البحر المحيط: سورة البقرة دراسة تطبيقية).

### أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث في الآتي:

١ – كونه يعالج قضية مشتركة بين علم أصول التفسير وعلم أصول الفقه، وهي (دلالة الظاهر).

٢ – سعة الاستدلال بظواهر النصوص سواء في مجال الأحكام أو في مسائل الاعتقاد؛ لأن الظاهر هو

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١٦٢/٦).

الأصل.

٣ – كثرة الشواهد الواردة في تفسير البحر المحيط لأبي حيان في تفسيره وعلى وجه الخصوص سورة البقرة.

٤ – إن أبا حيان من أبرز أعلام اللغة الذين وظفوا النحو والقراءات في خدمة الدلالة القرآنية.

**مشكلة البحث:**

سيجيب البحث عن السؤالين الآتيين:

١ – ما مكانة دلالة الظاهر في التفسير، وما موقف أبي حيان منها؟

٢ – ما وظائف دلالة الظاهر وتطبيقاتها عند أبي حيان في تفسيره؟

**أهداف البحث:**

يسعى هذا البحث لتحقيق الأهداف الآتية:

١ – بيان مكانة دلالة الظاهر عند أبي حيان في تفسير القرآن الكريم.

٢ – توضيح وظائف دلالة الظاهر عند أبي حيان في تفسيره.

٣ – عرض أمثلة تطبيقية لدلالة الظاهر لتعميق فهم كتاب الله تعالى.

**الدراسات السابقة:**

الدراسات حول شخصية أبي حيان كثيرة ومتعددة بتعدد مجالات نبوغه واهتماماته والعلوم التي برز فيها، ورغم كثرة تلك الرسائل لم يظفر الباحث بدراسة علمية حول وظائف دلالة الظاهر عنده في تفسير النصوص، وإنما هناك بحث تحت عنوان: (الصوارف المعتبرة في الخروج عن الظاهر عند أبي حيان الأندلسي في تفسيره: البحر المحيط دراسة نظرية تطبيقية)، صباح عبد الله عايض آل هضبان الحارثي، مجلة قطاع أصول الدين، العدد (١٥)، ج (١)، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، ٢٠٢٠م، وقد تكون هذا البحث من تمهيد، مقدمة، ومبحثين؛ المبحث الأول: تضمن ضوابط الخروج عن الظاهر، والمبحث الثاني: تضمن الصوارف المعتبرة في الخروج عن الظاهر، وخاتمة: فيها أهم ما توصل إليه البحث ومنها: اعتبر أبو حيان عددا من الصوارف في الخروج عن ظاهر اللفظ، أهمها: القرآن، والسنة، وتفسير السلف، والإجماع، والسياق، والعقل، واللغة.

**حدود البحث:**

سيدرس هذا البحث دلالة الظاهر عند أبي حيان الأندلسي من خلال كتابه: (البحر المحيط في التفسير) في ضوء سورة البقرة، ولن يقوم الباحث بحشد كافة التطبيقات، وإنما سيكتفي بضرب الأمثلة لوظائف دلالة الظاهرة.

**خطة البحث:**

يتكون هذا البحث من مقدمة ومبحثين، وخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: ويتناول الدراسة النظرية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريفات عامة.

المطلب الثاني: أهمية دلالة الظاهر في التفسير، وموقف أبي حيان (منها).

المطلب الثالث: تعريف مختصر بأبي حيان.

المبحث الثاني: ويتناول وظائف دلالة الظاهر عند أبي حيان دراسة تطبيقية على سورة البقرة، وفيه أحد عشر مطلبًا:

المطلب الأول: دلالة الظاهر على العموم والخصوص.

المطلب الثاني: دلالة الظاهر على مفسر الضمير.

المطلب الثالث: دلالة الظاهر على الاستئناف أو العطف.

المطلب الرابع: دلالة الظاهر على تعيين المخاطب والمعنى المراد.

المطلب الخامس: دلالة الظاهر على الإطلاق أو التقييد.

المطلب السادس: دلالة الظاهر على الحقيقة أو المجاز.

المطلب السابع: دلالة الظاهر على الحذف.

المطلب الثامن: دلالة الظاهر على رد قول المخالف

المطلب التاسع: دلالة الظاهر على معاني الحروف.

المطلب العاشر: دلالة الظاهر على التأسيس أو التأكيد.

المطلب الحادي عشر: ترجيح بالظاهر دون ذكر العلة.

**منهج البحث:** تقتضي طبيعة البحث أن يستعمل الباحث المنهج الوصفي، والتحليلي، وقد قام الباحث بتقديم دراسة وصفية مختصرة عن أبي حيان، وبيان مفهوم الدلالة والظاهر، كما استقرأ جملة من الأمثلة التي تندرج تحت وظائف دلالة الظاهر، وقام بتحليلها بما يخدم فكرة البحث، وخطته، ملتزمًا بضوابط وشروط المجلة في العزو والنقل، وكتابة المصادر من حيث تسلسلها.

وفي إجراءات البحث سيقوم الباحث بعمل مقدمة مختصرة للتعريف بأبي حيان، وتتبع الوظائف الدلالية للظاهر عند أبي حيان؛ محددا مواضعها في آيات سورة البقرة، مع المقارنة بأقوال أشهر المفسرين، وبيان من وافقه ومن خالفه من مشاهير المفسرين، وبيان الراجح ما أمكن.

## المبحث الأول

## الدراسة النظرية

### المطلب الأول: تعريفات عامة:

#### أولا: تعريف الدلالة في اللغة والاصطلاح:

**الدلالة في اللغة:** مصدر دلَّ يدل دَلالة ودِلالة بفتح الدال وكسرها، ومعناها الإرشاد والهداية، "وقد دله على الطريق يدله دلالة (بفتح الدال أو كسرها أو ضمها) والفتح أعلى[٢].

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: "الدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي، قال تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾[سبأ: ١٤]"[٣].

**الدلالة في الاصطلاح:** هي فهم المعنى من اللفظ إذا أطلق بالنسبة للعالم بالوضع.

أو هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر. والشيء الأول: هو (الدال)، والثاني: هو (المدلول)، والمطلوب بهما ما يعم اللفظ وغيره[٤].

#### ثانيًا: تعريف الظاهر في اللغة والاصطلاح:

**الظاهر في اللغة:** خلاف الباطن، وهو الانكشاف والبروز والبيان، من "ظهر الشيء يظهر ظهوراً فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز. ولذلك سمي وقت الظهر، والظهيرة، وهو أظهر أوقات النهار وأضوؤها. والأصل فيه كله ظهر الإنسان، وهو خلاف بطنه، وهو يجمع البروز والقوة"[٥]، وظَهر الشيء ظُهورًا: تبين. وأظهرتُ الشيء: بينته[٦].

---

(٢) ينظر: الصحاح (١٦٩٨/٤)؛ لسان العرب (٢٤٩/١١).

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص: ٣١٦).

(٤) ينظر: التعريفات (ص: ١٣٩).

(٥) مقاييس اللغة (٤٧١/٣).

(٦) ينظر: لسان العرب (٥٢٣/٤ - ٥٢٧).

**الظاهر في الاصطلاح:**

الظاهر عند الأصوليين: "هو ما دل على المراد منه بنفس صيغته من غير توقف فهم المراد منه على أمر خارجي، ولم يكن المراد منه هو المقصود أصالة من السياق، ويحتمل التأويل"(٧).

والظاهر عند أبي حيان رحمه الله: هو ما يتبادر إلى الذهن عند إطلاق اللفظ، حيث قال: "والظاهر من هذه الأقوال، على ما يفهم من ظاهر الآية، أنه لا إثم في تناول شيء من هذه المحرمات للمضطر الذي ليس بباغ ولا عاد"... إلى أن قال: "والظاهر في البغي والعدوان، أن ذلك من قبل المعاصي، لأنهما متى أطلقتا، تبادر الذهن إلى ذلك"(٨).

وعرفه ابن عثيمين رحمه الله فقال: "ما يتبادر منها من المعاني بحسب ما تضاف إليه وما يحتف بها من القرآن"(٩).

**المطلب الثاني: أهمية دلالة الظاهر في التفسير وموقف أبي حيان منها:**

تتضح أهمية الظاهر من خلال فوائده التي يؤديها في الوصول للفهم السديد للنصوص، وأهمها:

**أولاً: بيان المعاني:** قال الإمام الشافعي رحمه الله: "فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا يراد به العام الظاهر، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره، وعاما ظاهرا يراد به العام، ويدخله الخاص فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه، وعاما ظاهرا يراد به الخاص وظاهرا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره، فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره، وتبتدئ الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله، وتكلم بالشيء تعرفه بالمعنى دون الإيضاح باللفظ، كما تعرف الإشارة، ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها لانفراد أهل علمها به دون أهل جهالتها، وتسمي الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة، وتسمي

(٧) علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف (ص: ١٦١).
(٨) البحر المحيط في التفسير (٢/١١٦، ١١٧).
(٩) تقريب التدمرية (ص: ٥٥).

بالاسم الواحد المعاني الكثيرة"(١٠).

**ثانياً: الترجيح بين الأقوال بدلالة الظاهر**: قال ابن تيمية رحمه الله: "الكلام إذا احتمل معنيين، وجب حمله على أظهرهما الذي يدل على الكلام، ولا يجوز حمله على الآخر بلا دليل إرادته، ومن تكّلف غير ذلك فقد خرج عن كلام العرب المعروف، والقرآن منزّه عن ذلك والعدول عما يدل عليه ظاهر الكلام إلى ما لا يدل عليه بلا دليل لا يجوز ألبتة"(١١).

وقال أبو حيان رحمه الله: "والأولى حمل اللفظ على ظاهره من غير تقديم ولا تأخير، إذا أمكن ذلك"(١٢). وقال: "ومتى أمكن حمل الشيء على ظاهره كان أولى، إذ العدول عن الظاهر إلى غير الظاهر، إنما يكون لمرجح"(١٣). وقال: "متى أمكن حمل الشيء على ظاهره أو على قريب من ظاهره كان أولى من حمله على ما لا يشمله العقل أو على ما يخالف الظاهر جملة"(١٤). وقال أيضاً: "وإذا فقد موجب تخصيص البعض جاز حمل اللفظ على ظاهره"(١٥).

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾[البقرة:٩٣]، هذا من الالتفات، إذ لو جاء على الخطاب لقال: قلتم سمعنا وعصينا: ظاهره أن كلتا الجملتين مقولة، ونطقوا بذلك مبالغة في التعنت والعصيان. ويؤيده قول ابن عباس رضي الله عنه: كانوا إذا نظروا إلى الجبل قالوا: سمعنا وأطعنا، وإذا نظروا إلى الكتاب قالوا: سمعنا وعصينا. وقيل: القول هنا مجاز، ولم ينطقوا بشيء من الجملتين، ولكن لما لم يقبلوا شيئًا مما أمروا به؛ جعلوا كالناطقين بذلك. وقيل: يعبر بالقول للشيء عما يفهم به من حاله، وإن لم يكن نطق(١٦). وقيل: المعنى سمعنا بآذاننا وعصينا بقلوبنا، أي: قالوا سمعنا قولك وعصينا أمرك. والقول الأول أحسن، لأنا لا نصير إلى التأويل مع

(١٠) الرسالة (ص: ٥٢).
(١١) فصل في تزكية النفس (ص: ١٦).
(١٢) البحر المحيط في التفسير (١/٤٤٢).
(١٣) البحر المحيط في التفسير (١/٤١٧).
(١٤) المرجع السابق (٥/٦٤).
(١٥) المرجع السابق (٥/٥٤١).
(١٦) وهذا خلاف الظاهر، وهو جنوح لمذهب الأشاعرة، في مسألة القول والكلام النفسي.

إمكان حمل الشيء على ظاهره، لا سيما إذا لم يقم دليل على خل افه"(١٧).

**ثالثاً: رد الأقوال المخالفة للظاهر:**

قال أبو حيان رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:٣١]، "ظاهره حضور أشخاص حالة العرض على الملائكة، ومن قال: إن المعروض إنما هي أسماء فقط، جعل الإشارة إلى أشخاص الأسماء وهي غائبة، إذ قد حضر ما هو منها بسبب وذلك أسماؤها، وكأنه قال لهم: في كل اسم لأي شخص هذا الاسم، وهذا فيه بعد وتكلف وخروج عن الظاهر بغير داعية إلى ذلك"(١٨).

والترجيح بدلالة الظاهر يعد أولى قواعد الترجيح المتعلقة بالنص، فهي دلالة سياقية بالأساس، أنه لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه، قال الزركشي رحمه الله: "وكل لفظ احتمل معنيين فهو قسمان أحدهما: أن يكون أحدهما أظهر من الآخر فيجب الحمل على الظاهر إلا أن يقوم دليل على أن المراد هو الخفي دون الجلي فيحمل عليه. الثاني: أن يكونا جليين والاستعمال فيهما حقيقة..."(١٩).

قال ابن القيم رحمه الله: "فالواجب حمل كلام الله تعالى ورسوله وحمل كلام المكلَّف على ظاهره الذي هو ظاهره، وهو الذي يقصد من اللفظ عند التخاطب، ولا يتم التفهيم والفهم إلا بذلك"(٢٠).

وقال الشنقيطي رحمه الله: "وقد أجمع من يعتد به من أهل العلم على أنَّ النصوص من الكتاب والسنة لا يجوز صرفها عن ظاهرها إلا لدليل يجب الرجوع إليه، كما هو معلوم في محله"(٢١).

وبهذا يتضح وجوب إعمال النصوص على ما دل عليه ظاهرها، وأنه لا يجوز صرفها عن الظاهر إلا لدليل صحيح من كتاب أوسنة، قال الزركشي: "الظاهر دليل شرعي يجب اتباعه والعمل به، بدليل إجماع الصحابة على العمل بظواهر الألفاظ. وهو ضروري في الشرع، كالعمل بأخبار الآحاد، وإلا لتعطلت غالب الأحكام، فإن

(١٧) البحر المحيط في التفسير (٤٩٤/١).
(١٨) المرجع السابق (٢٣٦/١).
(١٩) البرهان في علوم القرآن (١٦٦/٢، ١٦٧).
(٢٠) إعلام الموقعين (٥١٩/٤).
(٢١) أضواء البيان (٢٥/٦).

النصوص معوزة جدا، كما أن الأخبار المتواترة قليلة جدا"[٢٢]. وقال ابن عثيمين رحمه الله: "والواجب في النصوص إجراؤها على ظاهرها بدون تحريف"[٢٣].

**المطلب الثالث: ترجمة مختصرة لأبي حيان:**

**أولاً: اسمه ومولده:** هو محمد بن يوسف بن علي بن حيان، أثير الدين أبو حيان الأندلسي الجياني ثم الغرناطي الشافعي، الإمام الحافظ الأستاذ، شيخ العربية والأدب والقراءات مع العدالة والثقة، حجة العرب، عالم الديار المصرية وصاحب التصانيف البديعة، ولد في العشر الأخير من شوال سنة أربع وخمسين وستمائة بغرناطة[٢٤]، وقد تنبى أبو حيان المنهج الأشعري في تقريره لأكثر مسائل العقيدة في تفسيره"[٢٥].

**ثانيًا: طلبه العلم:** أول طلبه العلم كان سنة سبعين وستمائة، وقرأ السبع ببلده على عبد الحق بن علي الأنصاري وأحمد بن علي الطباع، والأستاذ أبي جعفر ابن الزبير، وإلى آخر سورة مريم على أحمد بن سعيد القزاز، وإلى آخر سورة الحجر على الحافظ أبي علي الحسن بن أبي الأحوص، وبرواية ورش ثم قالون إلى أول سورة الجن على اليسر بن عبد الله بن محمد بن خلف، وقرأ عليه المصباح لأبي الكرم، قال ابن الجزري: ثم قدم مصراً فقرأ بالثماني على عبد النصير المريوطي بالإسكندرية، ثم قرأ السبع على إسماعيل بن هبة الله بن المليجي، وأقام بالديار المصرية يؤلف ويقرئ[٢٦]، "وقرأ العربية على الشيخين رضي الدين القسطنطيني، وبهاء الدين ابن النحاس، وقرأ عليه كتاب سيبويه، وأخذ عن أبي علي الشلوبين"[٢٧]، "وأخذ علم الحديث عن الدمياطي وغيره، وسمع الكثير من نحو أربعمائة شيخ، وأجازه خلق يوفون على ألف وخمسمائة نفر، وكان ظاهرياً فانتمى إلى الشافعية، وكان يقول محال أن يرجع عن مذهب الظاهرية"[٢٨]. وقرأ الفقه على مذهب الشافعي على الشيخ علم الدين ابن بنت العراقي،

(٢٢) البحر المحيط في أصول الفقه (٥/٣٥، ٣٦).
(٢٣) تقريب التدمرية (ص:٥٥).
(٢٤) ينظر: المعجم المختص بالمحدثين (ص: ٢٦٧)؛ غاية النهاية (٢/٢٨٥).
(٢٥) البحر المحيط في التفسير (١/٤٩٤).
(٢٦) ينظر: غاية النهاية (٢/٢٨٥).
(٢٧) طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة (٣/٦٨).
(٢٨) طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة (٣/٦٩).

وبحث عليه المحرر للرافعي، ومختصر المنهاج للنووي، وحفظ المنهاج إلا يسيراً[٢٩].

**ثالثًا: تلامذته:** "قرأ الناس عليه طبقة بعد طبقة حتى ألحق الأصاغر بالأكابر"[٣٠]، ومنهم: "أحمد بن محمد بن نحلة الدمشقي، وأبو بكر بن أيدغدي، وأحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود الحلبي، وابنه حيان، وأحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود الحلبي، وابنه حيان بن محمد بن يوسف بن علي، وأحمد بن محمد بن علي العنابي، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر بن خليل المكي، ومحمد بن علي بن محمد المعروف بابن سكر نزيل مكة [٣١]، ومن تلاميذه: السمين الحلبي، وابن عقيل، وابن هشام [٣٢]، وابن أم قاسم المرادي [٣٣].

**رابعًا: مؤلفاته ومآثره:** صنف أبو حيان التصانيف المشهورة الكثيرة، ذكر بعض الحفاظ أنها تزيد على خمسين مصنفاً، منها البحر المحيط في التفسير، والنهر من البحر، وشرح التسهيل، وارتشاف الضرب، وحدث وسمع منه الأئمة العلماء الحفاظ وغيرهم، وهو الذي جسر الناس على قراءة كتب ابن مالك، ورغبهم، فيها وشرح لهم غامضها، وكان يقول في مقدمة ابن الحاجب: هذه نحو الفقهاء[٣٤]. قال الذهبي: "ومع براعته الكاملة في العربية له يد طولى في الفقه والآثار والقراءات واللغات، وله مصنفات في القراءات والنحو وهو مفخر أهل مصر في وقتنا في العلم، تخرج به عدة أئمة، نظم القراءات السبع في قصيدة لامية سماها عقد اللآلئ خالية من الرموز وجعل عليها نكتا مفيدة، ونظم قراءة يعقوب كذلك وشرح التسهيل شرحا جليلا، وألف كتاب ارتشاف الضرب من لسان العرب، وشرح نحو نصف ألفية ابن مالك في مجلدين، وله التفسير الذي لم يسبق إلى مثله سماه البحر المحيط في عشر مجلدات كبار، واختصره في ثلاث مجلدات سماه النهر، ونظمه في غاية الحسن مع الدين والخير والثقة والأمانة"[٣٥]، و"اختصر منهاج النووي، في كتابه الوهاج، وتصدى لإقراء العربية بعد موت ابن النحاس سنة ثمان وتسعين، وصار شيخ

(٢٩) المرجع السابق (٣/٧٠).
(٣٠) المرجع السابق (٣/٦٩).
(٣١) ينظر: غاية النهاية (٢/٢٨٥).
(٣٢) الدرر الكامنة، (١/٤٠٢)، (٢/٤٧)، (٣/٩٣).
(٣٣) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (١/٥٣٦).
(٣٤) ينظر: طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة (٣/٦٩).
(٣٥) ينظر: معرفة القراء الكبار (ص:٣٨٧).

النحويين من ذلك الوقت إلى حين وفاته"[٣٦].

**خامسًا: وفاته**: توفي أبو حيان رحمه الله بالقاهرة في صفر سنة (٧٤٥هـ) بالقاهرة، ودفن بمقبرة الصوفية[٣٧].

(٣٦) طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة (٣/٦٩).

(٣٧) غاية النهاية في طبقات القراء (٢/٢٨٦).

## المبحث الثاني

## وظائف دلالة الظاهر عند أبي حيان دراسة تطبيقية على سورة البقرة

للظاهر وظائف دلالية كثيرة عند أبي حيان رحمه الله، ولما كانت عنايته بذلك كبيرة، والأمثلة على ذلك كثيرة سيقتصر الباحث على نماذج مختارة من سورة البقرة، بغية تأصيل تلك الوظائف، كما يأتي:

### المطلب الأول: دلالة الظاهر على العموم والخصوص:

العام هو: "اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد، من غير حصر، كقولنا: (الرجال) فإنه مستغرق لجميع ما يصلح له اللفظ"(٣٨). والخاص هو: "لفظ وضع للدلالة على فرد واحد بالشخص مثل: محمد، أو واحد بالنوع مثل: رجل، أو على أفراد متعددة محصورة مثل: ثلاثة وعشرة ومائة وقوم ورهط وجمع وفريق، وغير ذلك من الألفاظ التي تدل على عدد من الأفراد ولا تدل على استغراق جميع الأفراد"(٣٩).

قال الخطيب البغدادي رحمه الله: "ويجب أن يحمل حديث رسول الله ﷺ على عمومه وظاهره، إلا أن يقوم الدليل على أن المراد به غير ذلك، فيعدل إلى ما دل الدليل عليه"(٤٠).

**الفرع الأول: دلالة الظاهر على العموم:** قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[البقرة: ٢١]، قال أبو حيان: "يا أيها الناس: خطاب لجميع مَن يعقل، قاله ابن عباس، أو اليهود خاصة، قاله الحسن ومجاهد، أو لهم وللمنافقين، قاله مقاتل، أو لكفار مشركي العرب وغيرهم، قاله السدي، والظاهر قول ابن عباس؛ لأن دعوى الخصوص تحتاج إلى دليل"(٤١).

فقد رجح أبو حيان القول بالعموم؛ لعدم وجود المخصص. وهو قول الطبري، والفخر الرازي، والسعدي(٤٢)، واستحسنه القرطبي، بقوله: "الثاني: أنه عام في جميع الناس، فيكون خطابه للمؤمنين باستدامة العبادة، وللكافرين

---

(٣٨) المحصول، الفخر الرازي (٢/٣٠٩).

(٣٩) علم أصول الفقه، خلاف (ص:١٩١).

(٤٠) الفقيه والمتفقه (١/٥٣٧).

(٤١) البحر المحيط في التفسير (١/١٥٢).

(٤٢) ينظر تفاسيرهم على التوالي: جامع البيان (١/٣٦٢)؛ مفاتيح الغيب (٢/٣٢١)؛ تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٥).

بابتدائها. وهذا حسن"(٤٣).

ولعل الراجح من الأقوال ما ذهب إليه أبو حيان وهو القول بالعموم، لأن الآية عامة، والأصل بقاء العموم على عمومه ما لم يرد ما يخصصه، ولا مخصص هنا. فيبقى النداء عاماً لكل الناس، أما كافرهم فمعروف، وأما مؤمنهم فللازدياد من العبادات مع الثبات على ما هم مؤدون له قائمون به منها، وللأمر بالثبات عليه، ويماثله ما ورد من حث للمؤمنين على الإيمان، كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُ﴾[النساء: ١٣٦].

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِى ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَـٰسِرُونَ﴾[البقرة:٢٧]، ذكر أبو حيان اختلاف المفسرين في تفسير العهد المنقوض إلى تسعة أقوال مرجحا القول بالعموم، فقال رحمه الله: "وهذه الأقوال التسعة منها ما يدل على العموم في كل ناقض للعهد، ومنها ما يدل على أن المخاطب قوم مخصوصون، وهذا الاختلاف مبني على الاختلاف الذي وقع في سبب النزول، والعموم هو الظاهر، فكل من نقض عهد الله من مسلم وكافر ومنافق أو مشرك أو كتابي تناوله هذا الذم"(٤٤).

وذهب قوم إلى التخصيص، وهؤلاء اختلفوا فيهم؛ فقال قوم: هم كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم. وقال قوم هم: الفاسقون الذين ينقُضُون عهد الله من بعد ميثاقه. وقال بعضهم: إن الله عنى بهذه الآية جميعَ أهل الشرك والكفر والنفاق. وعهدُه إلى جميعهم في توحيده.

ورجح ابن جرير الطبري أنهم: كفّار أحبار اليهود الذين كانوا بين ظَهْرَانَيْ مهاجَر رسول الله ﷺ، ما قرُب منها من بقايا بني إسرائيل، ومن كان على شِركه من أهل النفاق(٤٥).

والصواب ما ذهب إليه ابن حيان من ترجيح العموم حملاً على دلالة ظاهر الآية، لما تقرر في علم التفسير

(٤٣) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٢٥).
(٤٤) البحر المحيط في التفسير (١/٢٠٥- ٢٠٦).
(٤٥) ينظر: جامع البيان (١/ ٤١٠، ٤١١).

وقواعد الأصول أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب(٤٦)، وإذا كانت الآية محتملة لجميع الأقوال بلا تعارض فلا مانع من حملها عليها جميعاً.

قوله تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾[البقرة:٤١]، قال أبو حيان: "ظاهره أنه أمر لبني إسرائيل؛ لأن المأمورين قبل هم، وهذا معطوف على ما قبله، فظاهره اتحاد المأمور. وقيل: أُنزلت في كعب بن الأشرف وأصحابه، علماء اليهود ورؤسائهم، والظاهر الأول، ويندرج فيه كعب ومن معه"(٤٧).

وإلى العموم مال الطبري(٤٨)، وهو قول مجاهد، وأبي العالية، والربيع بن أنس وقتادة(٤٩). وإلى التخصيص ذهب البغوي، فقال: "نزلت في كعب بن الأشرف وأصحابه من علماء اليهود ورؤسائهم"(٥٠).

والصحيح الأول؛ لأن ظاهر النداء أنه لبني إسرائيل جميعًا، ولأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[البقرة: ٧٧]، قال أبو حيان: "والأوْلى حمل ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، على العموم؛ إذ هو ظاهر اللفظ، وقيل: الذي أسروه الكفر، والذي أعلنوه الإيمان. وقيل: العداوة والصداقة. وقيل: قولهم لشياطينهم: (إنا معكم)، وقولهم للمؤمنين (آمنا). وقيل: صفة النبي ﷺ، وتغيير صفته إلى صفة أخرى، حتى لا تقوم عليهم الحجة"(٥١). وإلى التخصيص ذهب أبو العالية(٥٢)، والقشيري(٥٣). وقول أبي حيان هو الراجح، ومَن خصص إنما أراد التمثيل لا الحصر، والآية محتملة لكل ما مثلوا

(٤٦) ينظر: العجاب في بيان الأسباب (١/١٧٤).
(٤٧) البحر المحيط في التفسير (١/٢٨٦).
(٤٨) ينظر: جامع البيان (١/٥٦٠).
(٤٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/٢٤٣).
(٥٠) معالم التنزيل (١/١٠٩).
(٥١) البحر المحيط في التفسير (١/٤٤٣).
(٥٢) ينظر: جامع البيان (٢/٢٥٧).
(٥٣) ينظر: لطائف الإشارات (١/١٠٠).

به، وحملها على العموم أولى؛ لأن ما أسره الكفار واليهود بشأن النبي ﷺ، ودينه لا حصر له ولا حد.

**الفرع الثاني: دلالة الظاهر على الخصوص:** ومما ورد في ترجيح الخصوص بدلالة الظاهر ما ذكره أبو حيان عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة:٢٤]، حيث قال: "والناس يراد به الخصوص ممن شاء الله دخولها، وإن كان لفظه عاماً"(٥٤). أي أنه لفظ عام أريد به الخصوص، أو عام مخصوص بالكافرين الذين وجبت لهم النار. وما ذكره أبو حيان هو قول القرطبي(٥٥)، وابن عاشور، حيث قال: "والناس أريد به صنف منهم وهم الكافرون فتعريفه تعريف الاستغراق العرفي، ويجوز أن يكون تعريف العهد لأن كونهم المشركين قد علم من آيات أخرى كثيرة"(٥٦).

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[البقرة:٧٢]، قال أبو حيان: "والظاهر أن المعنى ما كنتم تكتمون من أمر القتيل وقاتله، وإلى هذا ذهب الجمهور. وقيل: يجوز أن يكون عاماً في القتيل وغيره، فيكون القتيل من جملة أفراده، وفي ذلك نظر، إذ ليس كل ما كتموه عن الناس أظهره الله تعالى"(٥٧).

ومال إلى الأول الطبري، والبغوي، الزمخشري، والنسفي(٥٨)، وغيرهم. وهو الراجح لأن ظاهر القصة يدل على ما كانوا يكتمونه من شأن القتيل، ولأنه من باب العام الذي أريد به الخاص، قال الفخر الرازي: "دلت الآية على أنه يجوز ورود العام لإرادة الخاص، لأن قوله: ﴿مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ يتناول كل المكتومات ثم إن الله تعالى أراد هذه الواقعة"(٥٩).

قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ

(٥٤) المرجع السابق (١/١٧٥).
(٥٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١/٢٣٥).
(٥٦) التحرير والتنوير (١/٣٤٤).
(٥٧) البحر المحيط في التفسير (١/٤١٩).
(٥٨) ينظر تفاسيرهم على التوالي: جامع البيان (٢/٢٢٨)؛ معالم التنزيل (١/١٣٠)؛ الكشاف (١/١٥٣)؛ مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/١٠٠).
(٥٩) مفاتيح الغيب (٣/٥٥٢).

تَعۡقِلُونَ﴾[البقرة:٧٣]، قال أبو حيان: "إن كان هذا خطابا للذين حضروا إحياء القتيل، كان ثم إضمار قول: أي وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة. وقدره الماوردي خطابًا من موسى، على نبينا وعليه الصلاة والسلام. وإن كان لمنكري البعث في زمن رسول الله ﷺ، فيكون من تلوين الخطاب. والمعنى: كما أحيي قتيل بني إسرائيل في الدنيا، كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة، وإلى هذا ذهب الطبري(٦٠)، والظاهر هو الأول، لانتظام الآي في نسق واحد، ولئلا يختلف خطاب (لعلكم تعقلون)، وخطاب (ثم قست قلوبكم)؛ لأن ظاهر قلوبكم أنه خطاب لبني إسرائيل"(٦١).

ومن هنا تبين لنا أن أبا حيان رحمه الله تعالى، رجح دلالة ظاهر الآية على الخصوص لا على العموم. ولعل الأصوب حمل الآية على العموم، لأنها تحتمل المعنيين أي: تحتمل أن يكون الجواب من موسى لبني إسرائيل ما هو سياق القصة، ويحتمل أن يكون الجواب من نبينا محمد ﷺ لكفار قريش المنكرين للبعث، بل وتحتمل الآية الرد على كل منكر للبعث.

**المطلب الثاني: دلالة الظاهر على مفسر الضمير:**

مفسر الضمير هو: الشيء الذي يعود عليه الضمير فيجليه، ويوضحه ويزيل إبهامه، ومن ذلك ما يأتي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[البقرة:٢٦]، قال أبو حيان: "والظاهر أن الضمير في (به) في الثلاثة عائد على ﴿مَثَلٗا﴾، وهو على حذف المضاف، أي: يضرب المثل. وقيل: الضمير في (به) من قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ﴾، أي: بالتكذيب. وفي (به) من قوله: ﴿وَيَهۡدِي بِهِۦ﴾، أي: بالتصديق. ودل على ذلك قوة الكلام في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ

(٦٠) ينظر: جامع البيان (٢/٢٣٢).
(٦١) البحر المحيط في التفسير (١/٤٢٠).

أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾. ومعنى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾، أي: وما يكون ذلك سببا للضلالة إلا عند مَن خرج عن الحق"(٦٢).

وما قاله أبو حيان ومال إليه هو نفس قول الإمام ابن جرير الطبري، والبغوي، وابن عطية، والقرطبي، والخازن، وابن كثير، والشوكاني(٦٣)، وغيرهم.

وقولهم يتوافق مع قاعدة: الضمير يعود إلى أقرب مذكور(٦٤)، وأقرب مذكور في الآية هو:﴿مَثَلًا﴾، فعود الضمير عليه هو الأنسب والأقرب والأصوب.

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[البقرة:٢٨]، قال أبو حيان: "والظاهر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، أن الهاء عائدة على الله سبحانه وتعالى؛ لأن الضمائر السابقة عائدة عليه تعالى، ويكون ذلك على حذف مضاف، أي: إلى جزائه من ثواب أو عقاب(٦٥). وقيل: عائدة على الجزاء على الأعمال. وقيل: عائدة على الموضع الذي يتولى الله الحكم بينكم فيه. وقيل: عائدة على الإحياء المدلول عليه بقوله: (فأحياكم). وشرح هذا: أنكم ترجعون بعد الحياة الثانية إلى الحال التي كنتم عليها في ابتداء الحياة الأولى، من كونكم لا تملكون لأنفسكم شيئا"(٦٦).

وإلى القول الأول مال ابن جرير الطبري، والقشيري، والبغوي، وابن عطية، والبيضاوي، والشوكاني(٦٧)،

(٦٢) البحر المحيط في التفسير (٢٠٣/١).

(٦٣) ينظر تفاسيرهم على التوالي: جامع البيان (٤٠٨/١)؛ معالم التنزيل (١٠٠/١)؛ المحرر الوجيز (١١٢/١)؛ الجامع لأحكام القرآن (٢٤٤/١)؛ لباب التأويل في معاني التنزيل (٣٣/١)؛ تفسير القرآن العظيم (٢٠٩/١)؛ فتح القدير (٦٨/١).

(٦٤) همع الهوامع (٣١٦/٢).

(٦٥) وهذا تأويل من أبي حيان رحمه الله؛ لأن الرجوع إلى الله تعالى – كما هو مذهب السلف – رحمهم الله رجوع حقيقي، بمقابلة الرب جل وعلا للجزاء والحساب.

(٦٦) البحر المحيط في التفسير (٢١٣/١).

(٦٧) ينظر تفاسيرهم على التوالي: جامع البيان (٤٢٤/١)؛ لطائف الإشارات (٧٣/١)؛ معالم التنزيل (١٠١/١)؛ المحرر الوجيز (١٣٨/١)؛ أنوار التنزيل (٦٥/١)؛ فتح القدير (٧١/١).

وغيرهم. ومال إلى الثاني: القرطبي(٦٨).

والأول هو الأصح، لما ذكره أبو حيان رحمه الله تعالى. فعود الضمائر السابقة كلها إلى الله تعالى، ولا يصح إخراج أحدها إلا على سبيل الالتفات ولا التفات هنا(٦٩).

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[البقرة: ١٢١]، قال أبو حيان: "ظاهره أن الضمير في (به) يعود إلى ما يعود عليه الضمير في يتلونه، وهو الكتاب، على اختلاف الناس في الكتاب. وقيل: يعود على النبي ﷺ، قالوا: وإن لم يتقدم له ذكر، لكن دلت قوة الكلام عليه، وليس كذلك، بل قد تقدم ذكره في قوله: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[البقرة: ١١٩]، لكن صار ذلك التفاتًا وخروجًا من خطاب إلى غيبة. وقيل: يعود على الله تعالى، ويكون التفاتًا أيضا وخروجا من ضمير المتكلم المعظم نفسه إلى ضمير الغائب المفرد. قال ابن عطية: ويحتمل عندي أن يعود الضمير على (الهدى) الذي تقدم، وذلك أنه ذكر كفار اليهود والنصارى في الآية، وحذر رسوله من اتباع أهوائهم، وأعلمه بأن هدى الله هو الهدى الذي أعطاه وبعثه به. ثم ذكر له أن المؤمنين التالين لكتاب الله هم المؤمنون بذلك الهدى المقتدون بأنواره. انتهى كلامه(٧٠)، وهو محتمل لما ذكر. لكن الظاهر أن يعود على الكتاب لتتناسب الضمائر ولا تختلف، فيحصل التعقيد في اللفظ، والإلباس في المعنى، لأنه إذا كان جعل الضمائر المتناسبة عائدة على واحد، والمعنى فيها جيد صحيح الإسناد، كان أولى من جعلها متنافرة، ولا نعدل إلى ذلك إلا بصارف عن الوجه الأول، إما لفظي، وإما معنوي، وإلى عوده على الكتاب ذهب الزمخشري. ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ﴾: "الضمير في به في هذه الجملة فيه من الخلاف ما فيه في الجملة السابقة، والظاهر كما قلناه، أنه عائد على الكتاب"(٧١).

(٦٨) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٥٠).

(٦٩) الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة – التكلم والخطاب والغيبة– بعد التعبير عنه بطريق آخر منها. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (٢/ ٨٦).

(٧٠) ينظر: المحرر الوجيز (١/ ١٢١).

(٧١) البحر المحيط في التفسير (١/ ٥٩٣).

وإلى هذا القول ذهب الطبري، والفخر الرازي، وذهب البغوي، والخازن[٧٢] إلى أن الضمير يعود على النبي ﷺ. وذهب البيضاوي إلى أن قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾، يعود على أهل الكتاب، وأن الضمير يعود على كتبهم دون المحرفين، ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾، حيث اشتروا الكفر بالإيمان[٧٣].

ولعل الأقرب في معنى الآية: أن الكتاب هو القرآن الكريم، والذين يتلونه حق تلاوته هم كل من آمن برسول الله ﷺ عرباً أو عجماً، أو من أهل الكتاب، فهم يتلونه ويؤمنون به ويعملون بما فيه، قال الشوكاني رحمه الله: "والكتاب: هو القرآن، والمراد بقوله: (يتلونه) أنهم يعملون بما فيه، فيحللون حلاله، ويحرمون حرامه"[٧٤].

**المطلب الثالث: دلالة الظاهر على الاستئناف أو العطف:**

قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾[البقرة:١٣٦]، قال أبو حيان: "ظاهره الاستئناف. والمعنى: أنا نؤمن بالجميع، فلا نؤمن ببعض ونكفر ببعض، كما فعلت اليهود والنصارى. فإن اليهود آمنوا بالأنبياء كلهم [٧٥]، وكفروا بمحمد وعيسى، صلوات الله على الجميع. والنصارى آمنوا بالأنبياء، وكفروا بمحمد ﷺ"[٧٦].

وإلى هذا القول ذهب الطبري، والبغوي، والقرطبي، وابن جزي، وابن كثير[٧٧]، وغيرهم.

---

(٧٢) ينظر تفاسيرهم على التوالي: جامع البيان (٥٧١/٢)؛ مفاتيح الغيب (٣٠/٤)؛ معالم التنزيل (١٦٧/٤)؛ لباب التأويل في معاني التنزيل (٤٧٨/٢).

(٧٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٠٤/١).

(٧٤) فتح القدير (١٥٨/١).

(٧٥) لم يؤمن اليهود بالأنبياء كلهم، قال تعالى عنهم: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

(٧٦) البحر المحيط في التفسير (٦٥١/١).

(٧٧) ينظر تفاسيرهم على التوالي: جامع البيان (١١٠/٣)؛ معالم التنزيل (١٧٢/١)؛ الجامع لأحكام القرآن (١٤١/٢)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (١٤٢/١)؛ تفسير القرآن العظيم (٧٠/٢).

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[البقرة:٢٥]، قال أبو حيان: "والأحسن في هذه الجملة أن تكون مستأنفة لا موضع لها من الإعراب، وأنه لما ذكر أن من آمن وعمل الصالحات لهم جنات صفتها كذا، هجس في النفوس حيث ذكرت الجنة الحديث عن ثمار الجنات، وتشوقت إلى ذكر كيفية أحوالها، فقيل لهم: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا﴾، وأجيز أن تكون الجملة لها موضع من الإعراب: نصب على تقدير كونها صفة للجنات، ورفع: على تقدير خبر مبتدأ محذوف. ويحتمل هذا وجهين: إما أن يكون المبتدأ ضميرا عائدًا على الجنات، أي هي كلما رزقوا منها، أو عائدا على الذين آمنوا، أي هم كلما رزقوا، والأولى الوجه الأول لاستقلال الجملة فيه لأنها في الوجهين السابقين تتقدر بالمفرد، فهي مفتقرة إلى الموصوف، أو إلى المبتدأ المحذوف. وأجاز أبو البقاء أن تكون حالاً من (الذين آمنوا) تقديره: مرزوقين على الدوام، ولا يتم له ذلك إلا على تقدير أن يكون الحال مقدرة، لأنهم وقت التبشير لم يكونوا مرزوقين على الدوام. وأجاز أيضا أن تكون حالا من جنات لأنها نكرة قد وصفت بقوله: (تجري)، فقربت من المعرفة، وتؤول أيضًا إلى الحال المقدرة. والأصل في الحال أن تكون مصاحبة، فلذلك اخترنا في إعراب هذه الجملة غير ما ذكره أبو البقاء"[(٧٨)].

والأقوال الثلاثة الأولى التي ذكرها أبو حيان سبقه بها الزمخشري من غير ترجيح، ونقلها عنه الفخر الرازي، والبيضاوي، وأبو السعود[(٧٩)]، بالنص من غير ترجيح كذلك، بينما رجح أبو حيان القول بالاستئناف، قال الزمخشري: "وقوله: (كُلَّما رُزِقُوا) لا يخلو من أن يكون صفة ثانية لجنات، أو خبر مبتدأ محذوف، أو جملة مستأنفة لأنه لما قيل إن لهم جنات لم يخل خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا، أم أجناس أخر لا تشابه هذه الأجناس؟ فقيل إنّ ثمارها أشباه ثمار جنات الدنيا، أي: أجناسها وإن تفاوتت إلى غاية لا

(٧٨) البحر المحيط في التفسير (١/١٨٤).
(٧٩) ينظر تفاسيرهم على التوالي: مفاتيح الغيب (٢/٣٥٨)؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٦٠)؛ إرشاد العقل السليم (/٦٩).

يعلمها إلا الله"(٨٠).

بينما رجح النسفي، والشوكاني(٨١) القول بالاستئناف أو الوصف، ولعل هذا القول هو الأصوب، أما القول بالصفة فلأن الجمل بعد النكرات صفات (٨٢)، كما هو معلوم في قواعد اللغة، وأما الاستئناف فكأن قائلاً سأل عن ثمارها فقال: كيف ثمارها؟ فأجيب عنه بقوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾، ولأن في الاستئناف اعتناء بالجملة المستأنفة، باعتبارها كلامًا تامًا لا يحتاج إلى رابط يربطها بما قبلها. والله أعلم.

**المطلب الرابع: دلالة الظاهر على تعيين المخاطب والمعنى المراد:**

وأمثلة ذلك كثيرة في تفسير البحر المحيط ومنها: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[البقرة:٨٤-٨٥]، قال أبو حيان: "والظاهر أن المشار إليه بقوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾، هم المخاطبون أولًا، فليسوا قوما آخرين"(٨٣).

بينما ذهب الزمخشري إلى أنهم قوم آخرون -أي الذين كانوا بين ظهراني رسول الله ﷺ فقال: "وأنتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق، ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، استبعاد لما أسند إليهم من القتل والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم. والمعنى ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون، يعني أنكم قوم آخرون"(٨٤). وهو قول ابن عباس، والسدي، وابن زيد(٨٥).

---

(٨٠) الكشاف، (١/١٠٧).

(٨١) ينظر تفسيريهما على التوالي: مدارك التنزيل (١/٦٩)؛ فتح القدير (١/٦٥).

(٨٢) ينظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص٥٦٠).

(٨٣) البحر المحيط في التفسير (١/٤٦٦، ٤٦٧).

(٨٤) الكشاف (١/١٦٠).

(٨٥) ينظر: جامع البيان (٢/٣٠١ - ٣٠٧)

ورجح الطبري القول بالعموم وأن الخطاب يشمل من خوطبوا به سابقاً ويدخل فيهم من كانوا في زمن النبي ﷺ، فقال: "والآية محتملة أن يكون أريد بها جميعهم. فإذْ كان ذلك كذلك، فليس لأحد أن يدعي أنه أريد بها بعض منهم دون بعض. وكذلك حكم الآية التي بعدها، أعني قوله ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾، الآية. لأنه قد ذكر لنا أن أوائلهم قد كانوا يفعلون من ذلك ما كان يفعله أواخرهم الذين أدركوا عصر نبينا محمد ﷺ"(٨٦).

ولعل الأصوب في هذه المسألة أنه خطاب لمن كان في عهد النبي ﷺ، كما قال الزمخشري، وهذا الخطاب على سبل الالتفات، حيث ذكرهم الله بما أخذه على أسلافهم من العهد والميثاق، ثم التفت إليهم مخاطباً إياهم فقال: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾، أي يا هؤلاء، وفائدة هذا الالتفات شد الانتباه وجذب السامع لما سيأتي بعده.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[البقرة:١١٣]، قال أبو حيان عن قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: "هم مشركو العرب في قول الجمهور. وقيل: مشركو قريش. وقال عطاء: هم أمم كانوا قبل اليهود والنصارى. وقال قوم: المراد اليهود، وكأنه أعيد قولهم: أي قال اليهود مثل قول النصارى، ونفي عنهم العلم حيث لم ينتفعوا به فجعلوا لا يعلمون. والظاهر القول الأول"(٨٧).

وبالقول الأول قال السدي. وبقول عطاء قال الربيع(٨٨).

ورجح ابن جرير عموم الذين لا يعلمون من الجهال سواء كانوا قبل اليهود والنصارى، أو كانوا من مشركي العرب، وهو الأظهر لأن العلة هي الجهل وعدم العلم، قال ابن جرير: "والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تبارك وتعالى أخبر عن قوم وصفهم بالجهل، ونفى عنهم العلم بما كانت اليهود والنصارى به عالمين

(٨٦) جامع البيان (٢/٣٠٢).
(٨٧) البحر المحيط في التفسير (١/٥٦٥).
(٨٨) ينظر: جامع البيان (٢/٥١٦، ٥١٧).

أنهم قالوا بجهلهم نظير ما قال اليهود والنصارى بعضها لبعض مما أخبر الله عنهم أنهم قالوه في قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾. وجائز أن يكونوا هم المشركين من العرب، وجائز أن يكونوا أمة كانت قبل اليهود والنصارى. ولا أمة أولى أن يقال هي التي عنيت بذلك من أخرى، إذْ لم يكن في الآية دلالة على أي من أي، ولا خبر بذلك عن رسول الله ﷺ ثبتت حجته من جهة نقل الواحد العدل، ولا من جهة النقل المستفيض. وإنما قصد الله جل ثناؤه بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾، إعلام المؤمنين أن اليهود والنصارى قد أتوا من قيل الباطل، وافتراء الكذب على الله، وجحود نبوة الأنبياء والرسل، وهم أهل كتاب يعلمون أنهم فيما يقولون مبطلون، وبجحودهم ما يجحدون من ملتهم خارجون، وعلى الله مفترون، مثل الذي قاله أهل الجهل بالله وكتبه ورسله، الذين لم يبعث الله لهم رسولا ولا أوحى إليهم كتابًا"(٨٩).

قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة:١٢٤]، قال أبو حيان: "والعهد: الإمامة؛ قاله مجاهد. أو النبوة؛ قاله السدي. أو الأمان؛ قاله قتادة. وروي عن السدي، واختاره الزجاج (٩٠). أو الثواب؛ قاله قتادة أيضًا. أو الرحمة؛ قاله عطاء. أو الدين؛ قاله الضحاك والربيع. أو لا عهد عليك لظالم أن تطيعه في ظلمه؛ قاله ابن عباس. أو الأمر من قوله: إن الله عهد إلينا، ألم أعهد إليكم. أو إدخاله الجنة؛ من قوله: كان له عند الله عهدا، أن يدخله الجنة. أو طاعتي؛ قاله الضحاك أيضاً. أو الميثاق أو الأمانة.

والظاهر من هذه الأقوال: أن العهد هي الإمامة؛ لأنها هي المصدر بها، فأعلم إبراهيم أن الإمامة لا تنال الظالمين"(٩١).

(٨٩) جامع البيان (٥١٧/٢).
(٩٠) معاني القرآن وإعرابه (٢٠٥/١)، ولا يوجد للزجاج نص حول معنى العهد.
(٩١) البحر المحيط في التفسير (٦٠٣/١، ٦٠٤).

وما رجحه أبو حيان هو قول الطبري، والبيضاوي، والسعدي، والشنقيطي[٩٢]، وهو الراجح إن شاء الله تعالى، لأن الإمامة خاصة بأولياء الله تعالى، وأما الظالمون فلا ينالونها لأنها أمانة وعهد من الله تعالى. "ودل مفهوم الآية، أن غير الظالم، سينال الإمامة، ولكن مع إتيانه بأسبابها"[٩٣].

**المطلب الخامس: دلالة الظاهر على الإطلاق أو التقييد:**

المطلق هو: "اللفظ الذي يدل على ذات واحدة لا بعينها، بل باعتبار حقيقة شاملة لجنس تلك الذات"[٩٤].

المقيد هو: مقابل المطلق، وهو: "ما دل على الحقيقة بوصف زائد عليها"[٩٥].

ومما ذكره أبو حيان على دلالة الظاهر على الإطلاق والتقييد ما يأتي:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[البقرة: ٩٩].

قال أبو حيان رحمه الله: "والآيات البينات، أي: القرآن، أو المعجزات المقرونة بالتحدي، أو الإخبار عما خفي وأخفي في الكتب السالفة، أو الشرائع، أو الفرائض، أو مجموع كل ما تقدم، أقوال خمسة. والظاهر: مطلق ما يدل عليه آيات بينات غير معين شيء منها"[٩٦].

وما رجحه أبو حيان هو ترجيح الراغب الأصفهاني[٩٧]. ورجح الفخر الرازي أن المقصود بالآيات البينات القرآن الكريم، فقال: "الأظهر أن المراد من الآيات البينات القرآن الذي لا يأتي بمثله الجن والإنس ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وقال بعضهم: لا يمتنع أن يكون المراد من الآيات البينات القرآن مع سائر الدلائل نحو امتناعهم من المباهلة ومن تمني الموت وسائر المعجزات نحو إشباع الخلق الكثير من الطعام القليل ونبوع الماء من بين أصابعه

(٩٢) ينظر تفاسيرهم على التوالي: جامع البيان (٢٠/٢)؛ أنوار التنزيل (١٠٤/١)؛ تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٥)؛ أضواء البيان (١٦٧/٤).

(٩٣) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٥).

(٩٤) تقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة (٩٢/١).

(٩٥) المعتصر (ص: ١٤١).

(٩٦) البحر المحيط في التفسير (٥١٧/١).

(٩٧) تفسير الراغب الأصفهاني (٣١١/١).

وانشقاق القمر"(٩٨).

ولعل هذا هو الظاهر من الآية لأن الإنزال يكون من الأعلى إلى الأسفل، والقرآن الكريم كلام الله تعالى وهو منزل من السماء، وبهذا القول قال ابن عثيمين رحمه الله: "الإنزال إنما يكون من الأعلى إلى الأسفل؛ وذلك؛ لأن القرآن كلام الله؛ والله تعالى فوق عباده"(٩٩).

قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[البقرة: ١٥٢]، قال أبو حيان بعد أن ذكر اختلاف المفسرين في ماهية الذكر: "وهذه التقييدات والتفسيرات التي فسر بها الذكران، لا يدل اللفظ على شيء منها، وينبغي أن يحمل ذلك من المفسرين له على سبيل التمثيل وجواز أن يكون المراد. وأما دلالة اللفظ فهي طلب مطلق الذكر، والذي يتبادر إليه الذهن هو الذكر اللساني. والذكر اللساني لا يكون ذكر لفظ الجلالة مفردا من غير إسناد، بل لا بد من إسناد، وأولاها الأذكار المروية في الآثار، والمشار إليها في القرآن"(١٠٠).

وأما ابن جرير الطبري رحمه الله فقد رجح أن الذكر يشمل طاعة الله تعالى فيما أمر والاجتناب عما نهى عنه وزجر، فقال: "فاذكروني أيها المؤمنون بطاعتكم إياي فيما آمركم به وفيما أنهاكم عنه، أذكركم برحمتي إياكم ومغفرتي لكم"(١٠١).

ولعل الأحسن في تفسير الآية حملها، كما قال أبو حيان، وأن الذكر يراد به ذكر القلب واللسان، ويصحبهما العمل وهو المؤشر على صحة الذكر وإخلاصه، وقد جاء في الحديث: "من ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ من الناس، ذكرته في ملأ أكثر منهم وأطيب"(١٠٢).

قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[البقرة: ١٨٥]، قال أبو حيان: "والظاهر أن معنى: هداكم، حصول الهداية لكم من غير تقييد، وقيل: المعنى، هدايتكم لما ضل فيه النصارى من

(٩٨) مفاتيح الغيب (٣/٦١٤).
(٩٩) تفسير سورة الفاتحة والبقرة، ابن عثيمين (١/٣١٩).
(١٠٠) البحر المحيط في التفسير (٢/٤٩، ٥٠).
(١٠١) جامع البيان (٣/٢١١).
(١٠٢) المسند، أحمد بن حنبل (١٤/٢٩١)، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

تبديل صيامهم، وإذا كانت بمعنى: الذي، فالمعنى على ما أرشدكم إليه من شريعة الإسلام"(١٠٣).

وذهب ابن جرير الطبري إلى تقييد الهداية بالهداية إلى صوم رمضان الذي ضل عنه أهل الكتابين، فقال: "ولتعظموا الله بالذكر له بما أنعم عليكم به، من الهداية التي خذل عنها غيركم من أهل الملل الذين كتب عليهم من صوم شهر رمضان مثلَ الذي كتب عليكم فيه، فضلُّوا عنه بإضلال الله إياهم، وخصَّكم بكرامته فهداكم له، ووفقكم لأداء ما كتبَ الله عليكم من صومه، وتشكروه على ذلك بالعبادة لهُ"(١٠٤).

ولعل الأقرب إلى الصواب قول ابن جرير لأن سياق الآية يتحدث عن شهر رمضان، ثم ذكر التكبير بعد انتهاء الصوم، وهذا التكبير لسبب وهو شكر الله على نعمة الصوم، ونعمة الهداية إليه.

**المطلب السادس: دلالة الظاهر على الحقيقة أو المجاز(١٠٥):**

الحقيقة هي: استعمال اللفظ فيما وضع له أولاً، أو هي "ما بقي على موضوعه، وقيل: ما استعمل فيما اصطلح عليه من المخاطبة(١٠٦) .

والمجاز هو: "اللفظ المستعمل في غير موضوعه الأصلي لمناسبة بينهما"(١٠٧).

ومما أورده أبو حيان في هذا المقام الآتي: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[البقرة:١٠٨]، قال أبو حيان: "وقال أبو العالية: الكفر هنا: الشدة، والإيمان: الرخاء، وهذا فيه ضعف،

(١٠٣) البحر المحيط في التفسير (٢/٢٠٤).

(١٠٤) جامع البيان (٣/٤٧٨).

(١٠٥) مسألة المجاز عند أهل السنة والجماعة خلافية، ولا يقال به في تفسير نصوص الوحي إلا عند تعذر حملها على الحقيقة، وهم متفقون على اتباع السلف الصالح في فهم نصوص الكتاب والسنة. فالمجاز لا يدخل آيات الصفات؛ إذ من الممكن حملها على حقيقتها – إذ لا يلزم منه محال – فوجب لأجل ذلك حمل هذه الصفات على الحقيقة وامتنع حملها على المجاز، وهذا مذهب السلف...ما عدا آيات الصفات يدخله المجاز بشرطه، وهو أن يتعذر حمل الكلام على الحقيقة. وهذا مذهب طائفة من أهل السنة، ومنهم من منعه بالكلية كشيخ الإسلام بن تيمية وابن القيم والشنقيطي. ينظر: معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (ص١١١)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/٣٣٩).

(١٠٦) الأنجم الزاهرات (ص: ١٠٩).

(١٠٧) ينظر: المحصول، الفخر الرازي، (١/٣٤٤)؛ أنوار البروق (١/ ١٨٩)؛ البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، (٣/٨٢).

إلا أن يريد أنهما مستعاران في الشدة على نفسه والرخاء لها عن العذاب والنعيم. وأما المعروف من شدة أمور الدنيا ورخائها، فلا تفسر الآية بذلك، والظاهر حمل الكفر والإيمان على الحقيقة الشرعية، لأن من سأل الرسول ما سأل مع ظهور المعجزات ووضوح الدلائل على صدقه، كان سؤاله تعنتا وإنكارا، وذلك كفر"(١٠٨).

وقد ذهب الطبري إلى هذا الترجيح؛ فقال: "والذي هو أولى عندي بتأويل الآية، ما روينا عن ابن عباس وابن مسعود من تأويلهما قوله: ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾: أخذوا الضلالة وتركوا الهدى. وذلك أن كل كافر بالله فإنه مستبدلٌ بالإيمان كفرًا، باكتسابه الكفرَ الذي وُجد منه، بدلا من الإيمان الذي أمر به. أوَمَا تسمعُ الله جل ثناؤه يقول فيمن اكتسب كفرًا به مكان الإيمان به وبرسوله: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[البقرة:١٠٨]، وذلك هو معنى الشراء، لأن كلّ مشترٍ شيئًا فإنما يستبدل مكانَ الذي يُؤخذ منه من البدل آخرَ بديلا منه. فكذلك المنافقُ والكافر، استبدلا بالهدى الضلالةَ والنفاق، فأضلهما الله، وسلبهما نورَ الهدى، فترك جميعَهم في ظلمات لا يبصرون"(١٠٩).

وذهب الزمخشري، وابن عطية(١١٠)، إلى أن البيع والشراء هنا على سبيل المجاز والاستعارة لا على الحقيقة.

وهذا القول مال إليه الراغب، والبغوي، والفخر الرازي، والقرطبي، والبيضاوي، وأبو السعود(١١١)، وغيرهم.

ولعل هذا القول هو الأصوب، والقرينة الصارفة من إرادة المعنى الحقيقي هي أن البيع والشراء المتعارف عليه معناه أخذ عوض مقابل شيء آخر، وهنا لا عوض -خاصة في حق الكافرين الذين لم يدخلوا الإسلام قط- وفي حق من نافق قبل أن يسلم.

قال الشوكاني ﷺ: "والشراء هنا مستعار للاستبدال: أي استبدلوا الضلالة بالهدى... فأما أن يكون معنى الشراء المعاوضة كما هو أصله حقيقة فلا، لأن المنافقين لم يكونوا مؤمنين فيبيعوا إيمانهم، والعرب قد تستعمل ذلك

(١٠٨) البحر المحيط في التفسير (٥٥٦/١).

(١٠٩) جامع البيان (٣١٥/١).

(١١٠) ينظر تفسيريهما على التوالي: الكشاف (٦٩/١، ٧٠)؛ المحرر الوجيز (٩٨/١).

(١١١) ينظر تفاسيرهم على التوالي: تفسير الراغب الأصفهاني (١٠٥/١- ١٠٦)، معالم التنزيل (٩٠/١)؛ مفاتيح الغيب (٣١١/٢)، الجامع لأحكام القرآن (٢١٠/١)؛ أنوار التنزيل (٤٨/١)؛ إرشاد العقل السليم (٤٨/١).

في كل من استبدل شيئا بشيء"(١١٢).

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾[البقرة:٢٢٢]، قال أبو حيان: "حيث: ظرف مكان، فالمعنى من الجهة التي أمر الله تعالى، وهو القبل لأنه هو المنهي عنه في حال الحيض، قاله ابن عباس، والربيع. (أو من قبل طهرهن لا من قبل حيضهن)، قاله عكرمة، وقتادة، والضحاك، وأبو رزين والسدي. وروي عن ابن عباس: ويصير المعنى فأتوهن في الطهر لا في الحيض أو من قبل النكاح لا من قبل الفجور، قاله محمد بن الحنفية، أو: من حيث أحل لكم غشيانهن بأن لا يكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات، قاله الأصم. والأول أظهر، لأن حمل: حيث، على المكان والموضع هو الحقيقة، وما سواه مجاز.

وإذا حمل على الأظهر كان في ذلك رد على من أباح إتيان النساء في أدبارهن. قيل: وقد انعقد الإجماع على تحريم ذلك، وما روي من إباحة ذلك عن أحد من العلماء فهو مختلف غير صحيح، والمعنى، في أمركم الله باعتزالهن وهو الفرج، أو من السرة إلى الركبتين"(١١٣).

وإلى ما رجحه أبو حيان مال ابن عطية، القرطبي، والبيضاوي(١١٤)، وغيرهم. ورجَّح الطبري، والفخر الرازي(١١٥)، قول عكرمة، وقتادة، والضحاك، وأبي رزين والسدي.

ولعل الأقرب للصواب في هذه المسألة هو قول أبي حيان وأصحابه، وهو قول جمهور الفقهاء، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:١٥٤]، قال أبو حيان: "والظاهر أن المراد حقيقة الموت والحياة. وقيل: ذلك مجاز. واختلفوا فقيل: أموات بانقطاع الذكر، بل أحياء ببقائه وثبوت الأجر. وكانت العرب تسمي من لا يبقى له ذكر بعد موته كالولد، وغيره ميتا. وقيل: أموات بالضلال، بل أحياء بالطاعة والهدى، كما قال: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾[الأنعام:

(١١٢) فتح القدير (٥٤/١).
(١١٣) البحر المحيط في التفسير (٤٢٥/٢، ٤٢٦).
(١١٤) ينظر تفاسيرهم على التوالي: المحرر الوجيز (٢٩٩/١)؛ الجامع لأحكام القرآن (٩٤/٣)؛ أنوار التنزيل (١٣٩/١).
(١١٥) ينظر تفسيريهما على التوالي: جامع البيان (٣٩٢/٤، ٣٩٣)؛ مفاتيح الغيب (٤٢٠/٦).

١٢٢]. وإذا حمل الموت والحياة على الحقيقة فاختلفوا، فقال قوم: معناه النهي عن قول الجاهلية إنهم لا يبعثون، فالمعنى: أنهم سيحيون بالبعث، فيثابون ثواب الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله. وأكثر أهل العلم على أنهم أحياء في الوقت. ومعنى هذه الحياة: بقاء أرواحهم دون أجسادهم، إذ أجسادهم نشاهد فسادها وفناءها. واستدلوا على بقاء الأرواح بعذاب القبر، وبقوله: ولكن لا تشعرون معناه: لا تشعرون بكيفية حياتهم. ولو كان المعنى بإحياء أنهم سيحيون يوم القيامة، أو أنهم على هدى ونور، لم يظهر لنفي الشعور معنى، إذ هو خطاب للمؤمنين، وهم قد علموا بالبعث، وبأنهم كانوا على هدى. فلا يقال فيه: ولكن لا تشعرون، لأنهم قد شعروا به، وبقوله: ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم"(١١٦).

وما قاله أبو حيان هو عين ما قاله الطبري، والبغوي، وابن عطية(١١٧)، وجمهور المفسرين، وهو القول الفصل في المسألة والذي لا ينبغي اعتقاد سواه، لأن ظاهر الآية واضح في تكرمة الله تعالى للشهداء واختصاصهم بهذه الفضيلة العظيمة بما بذلوا نفوسهم في سبيل الله تعالى.

**المطلب السابع: دلالة الظاهر على الذكر أو الحذف:**

الذكر: الأصل في تركيب الجملة أن يذكر المسند إليه والمسند إذا لم تقم قرينة تدل عليه وإلا كان الكلام غامضاً. ويحسن ذكر أحدهما إذا وجدت قرينة لدواع بلاغيةٍ تزيد الكلام حسناً وبهاء كالفخر والمدح.

الحذفُ: "من محاسن اللغة العربية أن بلاغة القول أحياناً تكون بحذف أحد ركني الجملة كقولك: فلان يأمر وينهي. أي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. فلو أظهرت المحذوف هنا لنزل قدر الكلام"(١١٨).

ومما أورده أبو حيان في هذا الصدد: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة: ١٧٣]، قال أبو حيان: "ولما أمر تعالى بأكل الحلال في الآية السابقة، فصل هنا أنواع الحرام، وأسند التحريم إلى

(١١٦) البحر المحيط في التفسير (٢/٥٢، ٥٣).
(١١٧) ينظر تفاسيرهم على التوالي: جامع البيان (٣/٢١٦)؛ معالم التنزيل (١/١٨٥)؛ المحرر الوجيز (١/٢٢٧).
(١١٨) اللباب في قواعد اللغة (ص: ١٦٣).

الميتة. والظاهر أن المحذوف هو الأكل، لأن التحريم لا يتعلق بالعين، ولأن السابق المباح هو الأكل في قوله: كلوا مما في الأرض، كلوا من طيبات ما رزقناكم. فالممنوع هنا هو الأكل، وهكذا حذف المضاف يقدر بما يناسب. فقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾[النساء: ٢٣]، المحذوف: وطء، كأنه قيل: وطء أمهاتكم، ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾[النساء: ٢٤]، أي وطء ما وراء ذلكم. فسائر وجوه الانتفاعات محرم من هذه الأعيان المذكورة، إما بالقياس على الأكل عند من يقول بالقياس، وإما بدليل سمعي عند من لا يقول به. وقال بعض الناس ما معناه: أنه تعالى لما أسند التحريم إلى الميتة، وما نسق عليها وعلقه بعينها، كان ذلك دليلا على تأكيد حكم التحريم وتناول سائر وجوه المنافع، فلا يخص شيء منها إلا بدليل يقتضي جواز الانتفاع به، فاستنبط هذا القول تحريم سائر الانتفاعات من اللفظ. والأظهر ما ذكرناه من تخصص المضاف المحذوف بأنه الأكل"(١١٩).

ومال البيضاوي إلى أن المحذوف: الأكل أو الانتفاع(١٢٠)، وبه قال الشافعي، فلبن الميتة وبيضها المتصل بها نجس عنده؛ لأنه جزء منها. وقال مالك في رواية: هو طاهر إلا أنه ينجس بالمجاورة، وكذلك أنفحة الميتة فيها الخلاف والمشهور عندهم أنها نجسة (١٢١)

والراجح في هذ المسألة أن المحرم أكل الميتة لا الانتفاع بإهابها بشرط الدباغ، وهو المشهور من أقوال الإمام مالك(١٢٢)، وإحدى الروايتين عن أحمد، وأبي يوسف من الحنفية(١٢٣).

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[البقرة: ٩١]، قال أبو حيان: "وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، أي إن كنتم مؤمنين فبئس ما يأمركم به إيمانكم. وقيل تقديره: إن كنتم مؤمنين فلا تقتلوا الأنبياء، ولا تكذبوا الرسل، ولا تكتموا الحق. وتقدير الحذف الأول أعرب وأقوى"(١٢٤).

(١١٩) البحر المحيط في التفسير (١١١/٢).
(١٢٠) ينظر: أنوار التنزيل (١١٩/١).
(١٢١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤٨١/١).
(١٢٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٢١٨/٢).
(١٢٣) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (٩٧/٧).
(١٢٤) البحر المحيط في التفسير (٤٩٦/١).

ومال الطبري إلى أن تقدير المحذوف: "إن كنتم مؤمنين بما نزل الله عليكم كما زعمتم"(١٢٥).

ورجح الراغب القول الثاني الذي ذكره أبو حيان"(١٢٦). ولعل الآية تحتمل جميع التقديرات إذ لا تعارض بينها، الله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾[البقرة:٥٤]، قال أبو حيان: "فتاب عليكم: ظاهره أنه إخبار من الله تعالى بالتوبة عليهم، ولا بد من تقدير محذوف عطفت عليه هذه الجملة، أي فامتثلتم ذلك فتاب عليكم. وتكون هاتان الجملتان مندرجتين تحت الإضافة إلى الظرف الذي هو: (إذ) في قوله: (وإذ قال موسى لقومه)"(١٢٧).

وهذا القول هو قول الطبري، والثعلبي، والواحدي، والبغوي(١٢٨)، وجماهير المفسرين. وهو ما يقتضيه ظاهر الآية، لأن قبول التوبة يدل عليها، والفاصلة تدل عليها أيضاً.

**المطلب الثامن**: دلالة الظاهر على رد قول المخالف

والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها: قوله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة: ٩٤، ٩٥]، بعد أن ذكر أبو حيان قول المهدوي أن تمني الموت كان معجزة من المعجزات التي أيد الله بها محمد ﷺ، وأن من تمنى الموت مات، وأنها ارتفعت بوفاته ﷺ(١٢٩). وقول ابن عطية: "والصحيح أن هذه النازلة من موت من تمنى الموت، إنما كانت أياماً كثيرة عند نزول الآية، وهي بمنزلة دعائه النصارى من أهل نجران إلى المباهلة"(١٣٠)، ورفض أبو حيان هذين القولين فقال: "وكلا القولين، مخالف

(١٢٥) جامع البيان (٢/٣٥٤).
(١٢٦) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (١/٢٦١).
(١٢٧) البحر المحيط في التفسير (١/٣٣٩).
(١٢٨) ينظر تفاسيرهم على التوالي: جامع البيان (٢/٧٩)؛ الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١/١٩٨)؛ الوسيط في التفسير (١/١٤٠)؛ معالم التنزيل، (١/١١٨).
(١٢٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (١/١٨١).
(١٣٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (١/١٨١).

لظاهر القرآن، لأن أبداً ظاهره أن يستغرق مدة أعمارهم"(١٣١).

وذهب إلى القول بالمباهلة ابن كثير، والسعدي(١٣٢)، وضعف ابن كثير القول الأول بأنه لا يلزم من كونهم يعتقدون أنهم صادقون في دعواهم أنهم يتمنوا الموت فإنه لا ملازمة بين وجود الصلاح وتمني الموت، وكم من صالح لا يتمنى الموت(١٣٣)، ولو كان المراد: تمنوا حصول الموت لاحتجوا علينا وتحدونا أيضاً بتمني الموت قائلين: وأنتم أيضاً تقولون: إن الدار الآخرة لكم، وأن اليهود بعد بعثة رسولكم في النار؛ فتمنوا الموت أنتم أيضاً.

ولعل الأرجح في هذه المسألة أن الله أمر نبيه ﷺ بتحديهم أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين في دعواهم الخيرية والأفضلية على الناس، وفي دعواهم الأحقية بالجنة، ان يتمنوا الموت ليصلوا إلى الجنة كما يزعمون، ثم بين الله تعالى لنا أنهم لن يتمنوا الموت أبداً لا بالقول ولا بالقلب، ولا حتى بالتفكير، وأكد عدم تمنيهم للموت بلفظة: ﴿أَبَدًا﴾ الدالة على التأبيد مدة حياتهم، ثم علل عدم استجابتهم للتحدي بأنهم أحرص الناس على حياة، وبأنهم قوم مذنبون وصحائفهم سوداء، ومن هذا حاله فكيف يتمنى الموت، أو يفكر فيه، قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝٩٥ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ﴾[البقرة:٩٥، ٩٦]. وهذا القول رجحه الطبري(١٣٤). ومال إليه ابن عثيمين، بقوله: "وهذا المعنى الذي نحا إليه ابن كثير رحمه الله مخالف لظاهر السياق؛ فلا يعوَّل عليه"(١٣٥).

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[البقرة: ٢٢١]، قال أبو حيان: "وظاهر الآية الإخبار عن الله تعالى بأنه هو تعالى يدعو إلى الجنة، وقال الزمخشري: يعني: وأولياء الله وهم المؤمنون يدعون إلى الجنة والمغفرة، وما يوصل إليهما، فهم

(١٣١) البحر المحيط في التفسير، (١/٥٠٠).
(١٣٢) ينظر تفسيريهما على التوالي: تفسير القرآن العظيم (١/٣٣٣)؛ تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٩).
(١٣٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم (١/٣٣٣).
(١٣٤) جامع البيان (٢/٣٦٣- ٣٦٧).
(١٣٥) تفسير الفاتحة والبقرة (١/٣٠٨).

الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم، وأن يؤثروا على غيرهم. انتهى. وحامله على أن ذلك هو على حذف مضاف طلب المعادلة بين المشركين والمؤمنين في الدعاء، فلما أخبر عمن أشرك أنه يدعو إلى النار، جعل من آمن يدعو إلى الجنة، ولا يلزم ما ذكر، بل إجراء اللفظ على ظاهره من نسبة الدعاء إلى الله تعالى هو آكد في التباعد من المشركين، حيث جعل موجد العالم منافيا لهم في الدعاء، فهذا أبلغ من المعادلة بين المشركين والمؤمنين"(١٣٦).

وما رجحه أبو حيان هو نفس قول الطبري، والواحدي، والقرطبي، والخازن، وابن كثير(١٣٧)، وغيرهم.

ومال البيضاوي، والنسفي(١٣٨)، إلى قول الزمخشري، وذكر القولين الفخر الرازي، والشوكاني(١٣٩)، دون ترجيح.

ولعل الأقرب إلى الصواب ما ذهب إليه أبو حيان وجمهور المفسرين من أن الداعي إلى المغفرة والجنة هو الله تعالى، بما شرع من أحكام خير موجبة للجنة والمغفرة، كل ذلك بأمره وتيسيره وفضله.

ولا يوجد داع للتأويل وطلب محذوف من أجل المقابلة بين المؤمنين والكافرين كما ذهب الزمخشري، إذ الأصل حمل الكلام على ظاهره ما لم يوجد مانع من ذلك ولا مانع هنا، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[البقرة: ٤٢]، قال ابن حيان"...وظاهر هذا التركيب أن الباء في قوله بالباطل للإلصاق، كقولك: خلطت الماء باللبن، فكأنهم نهوا عن أن يخلطوا الحق بالباطل، فلا يتميز الحق من الباطل، وجوز الزمخشري أن تكون الباء للاستعانة، كالتي في قولك: كتبت بالقلم، قال: كأن المعنى: ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم، وهذا فيه بعد عن هذا التركيب، وصرف عن الظاهر بغير ضرورة تدعو إلى ذلك"(١٤٠).

---

(١٣٦) البحر المحيط في التفسير (٢/٤٢٠).

(١٣٧) ينظر تفاسيرهم على التوالي: جامع البيان (٣/٧٢٠)؛ الوسيط في تفسير القرآن المجيد (١/٣٢٧)؛ الجامع لأحكام القرآن (٣/٨٠)؛ لباب التأويل (١/١٥٣)؛ تفسير القرآن العظيم (١/٥٨٤).

(١٣٨) ينظر تفسيريهما على التوالي: أنوار التنزيل، (١/١٣٩)؛ مدارك التنزيل (١/١٨٤).

(١٣٩) ينظر تفسيريهما على التوالي: مفاتيح الغيب (٦/٤١٣)؛ فتح القدير (١/٢٥٧).

(١٤٠) البحر المحيط في التفسير (١/٢٩٠).

وما رجحه أبو حيان هو ما ذكره الطبري، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي(١٤١)، وغيرهم.

وما ذكره الزمخشري نقله عنه النسفي بالنص(١٤٢)، ونقل ابن عادل عن ابن الخطيب نفس قول الزمخشري(١٤٣).

والأقرب للصواب ما ذهب إليه جمهور المفسرين ومنهم: ابن عباس، وأبو العالية، ومجاهد، وابن زيد، وقتادة(١٤٤)، في معنى اللبس الخلط؛ لأن اللبس في اللغة معناه الخلط، يقال لبست عليه الأمر ألبسه: إذا خلطت حقه بباطله، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[الأنعام:٩].

**المطلب التاسع: دلالة الظاهر على معاني الحروف:**

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[البقرة: ١٦٧]، قال أبو حيان: "الكاف عند بعضهم في موضع رفع، وقدروه الأمر كذلك، أو حشرهم كذلك، وهو ضعيف، لأنه يقتضي زيادة الكاف وحذف مبتدأ، أو كلاهما على خلاف الأصل. والظاهر أن الكاف على بابها من التشبيه، وأن التقدير مثل: إراءتهم تلك الأهوال، يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم، فيكون نعتا لمصدر محذوف، فيكون في موضع نصب"(١٤٥).

وما قاله أبو حيان من أن الكاف للتشبيه هو قول جمهور المفسرين(١٤٦)، وذهب الشوكاني إلى القول بالرفع على تقدير مبتدأ هو: الأمر كذلك(١٤٧).

---

(١٤١) ينظر تفاسيرهم على التوالي: جامع البيان (٥٦٧/١)؛ معالم التنزيل (١١٠/١)؛ المحرر الوجيز (١٣٥/١)؛ زاد المسير (٦٠/١)؛ الجامع لأحكام القرآن (٣٤٠/١).

(١٤٢) ينظر: مدارك التنزيل (٨٤/١).

(١٤٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (٢٠/٢).

(١٤٤) الدر المنثور (١٥٥/١).

(١٤٥) البحر المحيط في التفسير، (٩٣/٢).

(١٤٦) انظر على سبيل المثال: جامع البيان، الطبري (٢٩٥/٣)؛ معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٢٤٠/١)؛ مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الفخر الرازي (١٨١/٤)؛ الكشاف، الزمخشري (٢١٢/١)؛ وأنوار التنزيل، البيضاوي (١١٨/١).

(١٤٧) فتح القدير (١٩١/١).

ولعل الراجح في المسألة قول الجمهور، لأن الكاف اسم بمعنى (مثل)، وهي تفيد التشبيه، وتعرب مفعولاً مطلقاً وعامله الفعل الذي بعده، وقد وردت في القرآن الكريم في أكثر من موضع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾[البقرة:٧٣]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة:١٤٣]، وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡ﴾[البقرة: ١١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ﴾[الأنعام:٥٣].

قوله تعالى: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة:١٨٥]، قال أبو حيان: "والظاهر في: ما، أنها مصدرية أي: على هدايتكم، وجوزوا أن تكون: ما، بمعنى الذي، وفيه بعد، لأنه يحتاج إلى حذفين أحدهما: حذف العائد على: ما، أي: على الذي هداكموه وقدرناه منصوبا لا مجرورا بإلى، ولا باللام ليكون حذفه أسهل من حذفه مجرورا. والثاني: حذف مضاف به يصح الكلام، التقدير: على اتباع الذي هداكموه، وما أشبه هذا التقدير مما يصح به معنى الكلام"(١٤٨).

وقد نحا نحو أبي حيان بعض الذين يعنون بإعراب القرآن الكريم؛ ومن هؤلاء: محيي الدين درويش، وأحمد الخراط، وأحمد عبيد الدعاس، وزملاؤه(١٤٩).

وذهب آخرون إلى اعتبار (ما) مصدرية أو موصولة، ومن هؤلاء: أبو السعود، والشوكاني، والألوسي، وابن عاشور(١٥٠).

والراجح احتمال الإعرابين ولا تنافي بينهما، فالمصدرية على تقدير: على هدايتكم، أو على هدايته إياكم. والموصولة على تقدير: على الذي هداكموه أو على الذي هداكم إليه.

(١٤٨) البحر المحيط في التفسير (٢٠٤/٢).

(١٤٩) ينظر كتبهم على التوالي: إعراب القرآن وبيانه (٢٦٣/١)؛ المجتبى من مشكل إعراب القرآن (٦٦/١)؛ إعراب القرآن الكريم (٧٦/١).

(١٥٠) ينظر تفاسيرهم على التوالي: إرشاد العقل السليم (١٠٨/٦)؛ فتح القدير، (٣/ ٥٣٨)؛ روح المعاني، (٤٦٠/١)؛ التحرير والتنوير، (٢٤٨/١٠).

قوله تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾[البقرة:٢٣٣]، قال أبو حيان: "والظاهر أن الباء للسبب، ويبين ذلك قراءة من قرأ لا تضارَر، براءين، الأولى مفتوحة، وهي قراءة عمر بن الخطاب"(١٥١).

وهذا الذي ذكره أبو حيان هو قول جماهير المفسرين ومنهم: الزمخشري، وابن عطية، والشوكاني، والألوسي، وصديق خان، والقاسمي، وابن عاشور(١٥٢)، وغيرهم. إذ لم أجد حسب اطلاعي القاصر على من فسر الباء بغير هذا التفسير. والله أعلم.

**المطلب العاشر: دلالة الظاهر التأسيس أو التأكيد:**

التأكيد هو: تقوية مدلول ما ذكر بلفظ آخر، أو تابعٌ يُذْكر تقريراً لمتبوعه، بغيةَ رفع احتمال إرادة المجاز، أو رفع احتمال السَّهْو والغلط. والتأسيس هو: أن يكونَ اللفظُ المكرَّرُ لإفادة معنىً آخرَ لم يكنْ حاصلاً قَبْله، وهو خير من التأكيد لأن حمل الكلام على الإفادة خير من حمله الإعادة"(١٥٣). ومما أورده أبو حيان في هذا المقام:

قوله تعالى: ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾[البقرة:٦١]، قال أبو حيان: "تعليل لضرب الذلة والمسكنة والمباءة بالغضب، والإشارة بقوله ذلك بما عصوا إشارة إلى الكفر والقتل، وبما تعليل لهما فيعود العصيان إلى الكفر، ويعود الاعتداء إلى القتل، فيكون قد ذكر شيئين وقابلهما بشيئين. كما ذكر أولا شيئين وهما: الضرب والمباءة، وقابلهما بشيئين وهما: الكفر والقتل، فجاء هذا لفا ونشرًا(١٥٤) في المؤمنين، وذلك من محاسن الكلام وجودة تركيبه، ويخرج بذلك عن التأكيد الذي لا

(١٥١) البحر المحيط في التفسير (٥٠٣/٢).

(١٥٢) ينظر تفاسيرهم على التوالي: الكشاف، (٢٨٠/١)؛ المحرر الوجيز (٣١٢/١)؛ فتح القدير (٢٨١/١)؛ روح المعاني (٥٤٠/١)، فتح البيان (٣٣/٢)، محاسن التأويل (١٥٥/٢)؛ التحرير والتنوير (٤٣٣/٢).

(١٥٣) التعريفات (ص:٧٦)؛ والتوقيف على مهمات التعاريف (ص:٨٩).

(١٥٤) هو من المحسنات المعنوية، وَهُوَ ذكر مُتَعَدد على التَّفْصِيل أَو الْإِجْمَال ثمَّ ذكر مَا لكل من غير تعْيين، ثِقَة بِأَن السَّامع يردهُ إِلَيْهِ، أو هو: أن تلف شيئين ثم تأتي بتفسيرهما جملة؛ ثقة بأن السامع يرد إلى كل واحد منهما ما له، انظر: التعريفات (ص: ١٩٣)؛ الكليات (ص: ٧٩٨).

يصار إليه إلا عند الحاجة، وذلك بأن يكون الكلام يبعد أن يحمل على التأسيس"[١٥٥].

وإلى هذا الرأي مال ابن عاشور[١٥٦]. وذهب صديق خان إلى أن الإشارة بـ(ذلك) للتأكيد وتعظيم الأمر عليهم وتهويله[١٥٧]، ولزيادة تمييز المشار إليه حرصا على معرفته، ويكون العصيان والاعتداء سببين آخرين لضرب الذلة والمسكنة ولغضب الله تعالى عليهم، والآية حينئذ من قبيل التكرير وهو مغن عن العطف[١٥٨].

ولعل الراجح هنا هو القول بالتأسيس، لأن فيه إفادة جملة جديدة، وقد أفادت العبارة الثانية التشنيع عليهم بأن ما لزمهم من الذلة والمسكنة والصغار، هو بما فعلوه من البطش والتقتيل والإجرام في حق أنبيائهم عليهم السلام.

قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[البقرة: ٧]، ذكر أبو حيان في هذه الآية مسألتين؛ الأولى: في قوله تعالى:﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ﴾، قال أبو حيان: "يمكن أن يكون السمع محكوماً عليه مع كل واحد منهما، إذ يحتمل أن يكون أشرك في الختم بينه وبين القلوب، ويحتمل أن يكون أشرك في الغشاوة بينه وبين الأبصار. لكن حمله على الأول أولى للتصريح بذلك في قوله: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ﴾[الجاثية:٢٣]. وتكرير حرف الجر يدل على أن الختم ختمان، أو على التوكيد، إن كان الختم واحدا فيكون أدل على شدة الختم"[١٥٩].

فنلحظ من كلامه رحمه الله تعالى أنه رجح التأسيس بقوله: "لكن حمله على الأول أولى" أي: الإشراك في الختم بين القلب والسمع، وقوله: "وتكرير حرف الجر يدل على أن الختم ختمان".

كما أشار إلى جواز التأكيد مع ذكر فائدته؛ بقوله: "أو على التوكيد، إن كان الختم واحدا فيكون أدل على شدة الختم".

---

(١٥٥) البحر المحيط في التفسير (١/٣٨٤).

(١٥٦) التحرير والتنوير (١/٥٢٩).

(١٥٧) ينظر: فتح البيان (ص:١٨٤).

(١٥٨) ينظر: التحرير والتنوير (١/٥٣٠).

(١٥٩) البحر المحيط في التفسير (١/٨٠- ٨١).

وذكر السمين الحلبي هذا القول بالنص[١٦٠]، كما ذكره ابن كثير، ورجح القول بالإتباع لا التأسيس؛ فقال: "واعلم أن الوقف التام على قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾، وقوله: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾، جملة تامة، فإن الطبع يكون على القلب وعلى السمع، والغشاوة - وهي الغطاء - تكون على البصر[١٦١]". وإلى العطف والإتباع مال أبو السعود، وابن عاشور، وابن عثيمين[١٦٢].

وبين الطبري، والقرطبي، والخازن[١٦٣] أن الختم على القلوب والأسماع، ولم يفصلوا فيه؛ هل هو على التأسيس أم العطف والإتباع، كما فصل أبو حيان[١٦٤].

ولعل الراجح هنا هو العطف والإتباع للآتي:

- لأن الختم يناسب الأسماع كما يناسب القلوب، إذ كلاهما يشبه بالوعاء، ويتخيل فيه معنى الغلق والسد، فإن العرب تقول: استَكَّ سمعُه، ووقر سمعه، وجعلوا أصابعهم في آذانهم[١٦٥].
- لقوله عز وجل: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾، فهما معطوفان هنا، وهنالك أيضاً.
- لاتفاق القراء على الوقف عليه لا على قلوبهم، ولو كانا مستقلين لجاز الوقف عليهما. والله أعلم.

المسألة الثانية: في قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾، هل الجملة ابتدائية يراد بها التأسيس، أم تابعة لما قبلها؛ يراد بها العطف، فرجح أبو حيان القول التأسيس؛ فقال: "وقرأ الجمهور: ﴿غِشَٰوَةٌ﴾، بكسر الغين ورفع التاء، وكانت هذه الجملة ابتدائية ليشمل الكلام الإسنادين: إسناد الجملة الفعلية وإسناد الجملة الابتدائية، فيكون ذلك آكد لأن الفعلية تدل على التجدد والحدوث، والاسمية تدل على الثبوت. وكان تقديم الفعلية أولى لأن فيها

(١٦٠) الدر المصون (١/١١١).
(١٦١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/١٧٥).
(١٦٢) ينظر تفاسيرهم على التوالي: إرشاد العقل السليم (١/٣٨)؛ التحرير والتنوير (١/٢٥٥)؛ تفسير سورة الفاتحة والبقرة (١/٣٧).
(١٦٣) ينظر تفاسيرهم على التوالي: جامع البيان (١/٢٥٨)؛ الجامع لأحكام القرآن (١/١٩١)؛ لباب التأويل (١/٢٦).
(١٦٤) ينظر: جامع البيان (١/٢٥٨).
(١٦٥) ينظر: التحرير والتنوير (١/٢٥٥).

أن ذلك قد وقع وفرغ منه"(١٦٦).

وذهب الطبري، والأخفش الأوسط، والخازن، وابن كثير(١٦٧)، إلى القول بالاستئناف كما قال أبو حيان فقال: "فان الختم ليس يقع على الأبصار. إنما قال (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ) ثم قال (وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) مستأنفاً".

وذهب ابن عثيمين إلى جواز العطف والاستئناف(١٦٨)، ولعل هذا هو الراجح فالاستئناف على أن شبه الجملة خبر مقدم وغشاوة مبتدأ مؤخر، تكون الجملة مستقلة، وأما العطف فهو من باب عطف الجملة الإسمية على الجملة الفعلية قبلها.

**المطلب الحادي عشر: ترجيح بالظاهر دون ذكر العلة:**

مما سبق تبين لنا أن أبا حيان رحمه الله تعالى يرجح ما يراه راجحاً مع ذكر أسباب الترجيح، ويرفض أقوال من سبقه من العلماء مبيناً سبب الرفض، إلا أنه في بعض الأحيان قد يرجح دون ذكر السبب، ولا بيان العلة، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ﴾[البقرة:٢٤٧]، قال أبو حيان: "وأما البسطة في الجسم؛ فقيل: أريد بذلك معاني: الخير، والشجاعة، وقهر الأعداء، والظاهر أنه: الامتداد، والسعة في الجسم"(١٦٩).

وهذا هو قول الطبري، والزمخشري، والنسفي(١٧٠). ولعل الراجح في مثل هذا هو القول بالعموم، وأن الله تعالى فضله عليهم "بقوة الرأي والجسم اللذين بهما تتم أمور الملك، لأنه إذا تم رأيه وقوي على تنفيذ ما يقتضيه الرأي المصيب، حصل بذلك الكمال، ومتى فاته واحد من الأمرين اختل عليه الأمر، فلو كان قوي البدن مع ضعف

(١٦٦) البحر المحيط في التفسير (٨١/١).

(١٦٧) ينظر تفاسيرهم على التوالي: جامع البيان (٢٥٨/١)؛ معاني القرآن (٣٦/١)؛ لباب التأويل (٢٦/١)؛ تفسير القرآن العظيم (١٧٥/١).

(١٦٨) ينظر: تفسير سورة الفاتحة والبقرة (٣٧/١).

(١٦٩) البحر المحيط في التفسير (٥٧٥/٢).

(١٧٠) ينظر تفاسيرهم على التوالي: جامع البيان (٣١٣/٥)؛ الكشاف (٢٩٢/١)؛ مدارك التنزيل (٢٠٤/١).

الرأي، حصل في الملك خرق وقهر ومخالفة للمشروع، قوة على غير حكمة، ولو كان عالماً بالأمور وليس له قوة على تنفيذها لم يفده الرأي الذي لا ينفذه"(١٧١).

قوله تعالى: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[البقرة:١٥٠]، قال أبو حيان عن الجملة الكريمة: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: "والمعنى: لتكونوا على رجاء إدامة هدايتي إياكم على استقبال الكعبة، أو لكي تهتدوا إلى قبلة أبيكم إبراهيم، والظاهر رجاء الهداية مطلقا"(١٧٢).

وإلى القول الثاني الطبري، والواحدي في الوجيز، والنسفي(١٧٣)، وإلى القول بالعموم ذهب الواحدي في الوسيط، والقاسمي(١٧٤).

ولعل الصواب هنا أن تمام النعمة تمثل بهداية هذه الأمة إلى القبلة المشرفة، وأن الهداية المرادة في الآية هي الهداية العامة، التي تشمل الاهتداء إلى الحق وإلى الطريق المستقيم، والثبات على الدين والرسوخ يه، ومن باب أولى الاهتداء للقبلة المشرفة، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾[البقرة:٢٦٤]، قال أبو حيان: "والظاهر أن قوله: بالمن، معناه على الفقير، وهو قول الجمهور"(١٧٥).

وهنا أيضاً يرجح أبو حيان دون ذكر السبب، لأن سبب الترجيح واضح، إذ إنَّ سياق الآية يتحدث عن الصدقة للفقراء، فلعله لم يسبب ترجيحه لوضوحه، والله أعلم.

---

(١٧١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: ١٠٨).

(١٧٢) البحر المحيط في التفسير (٤٤/٢).

(١٧٣) ينظر تفاسيرهم على التوالي: جامع البيان (٢٠٨/٣)؛ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٣٩/١)؛ مدارك التنزيل (١٤٣/١).

(١٧٤) ينظر تفسيريهما على التوالي: الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٢٣٣/١)؛ محاسن التأويل (٤٣١/١).

(١٧٥) البحر المحيط في التفسير (٦٦٢/٢).

## الخاتمة

وبعد هذا التطواف في كتاب البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، وفي سورة البقرة بالذات، نحبذ أن نختم هذا البحث بالنتائج والتوصيات، مبتدئين بالنتائج:

١. أنزل الله كتابه الكريم ليكون منهجًا للناس في سيرهم إلى الله، ومرجعاً لهم عند اختلافهم، وأنزله بلسان عربي مبين.

٢. تنوعت دلالة ألفاظ القرآن الكريم على معانيها؛ فمنها ما يتبادر إلى الذهن بمقتضى نزوله بسان عربي مبين، ومنها ما يحتاج لتدبر وتأمل ونظر.

٣. دلالة ظاهر القرآن الكريم حجة بينة ودليل يجب اتباعه، والعمل به، بدليل إجماع الصحابة على العمل بظواهر الألفاظ.

٤. الأصل استعمال اللفظ فيما وضع له أولاً، ولا يجوز العدول عن ذلك إلا بقرينة صارفة من إرادة المعنى الحقيقي.

٥. عني المفسرون ببيان دلالة ظاهر ألفاظ القرآن الكريم، ومنهم الإمام أبو حيان الأندلسي، الذي كان له عناية خاصة ببيان ما تدل عليه ظواهر النصوص، إذ يُعَدُّ من أكثر المفسرين عناية بذلك؛ إن لم يكن أكثرهم على الإطلاق.

٦. إذا احتمل الكلام معنيين، وجب حمله على أظهرهما الذي يدل على الكلام، ولا يجوز حمله على الآخر بلا دليل إرادته، ومن تكّلف غير ذلك فقد خرج عن كلام العرب المعروف، والقرآن منزّه عن ذلك.

٧. لا بد للمفسر أن يكون ذا معرفة بقواعد الظاهر ووظائفه، وإلا أفسد المعنى.

٨. من الوظائف الدلالية التي يؤديها الظاهر كما ورد عند أبي حيان في سورة البقرة:

٩. دلالة الظاهر على العموم أو الخصوص.

- دلالة الظاهر على مفسر الضمير.
- دلالة الظاهر على الاستئناف أو العطف.

- دلالة الظاهر على تعيين المخاطب والمعنى المراد.
- دلالة الظاهر على الإطلاق أو التقييد.
- دلالة الظاهر على الحقيقة أو المجاز.
- دلالة الظاهر على الحذف.
- دلالة الظاهر على معاني الحروف.
- دلالة الظاهر على التأسيس أو التأكيد.

١٠. كان أبو حيان يرجح ما يراه راجحاً، ويرد ما يراه مخالفاً مع ذكر الأدلة المؤيدة لما يذهب إليه.

**التوصيات:**

١ – دراسة ترجيحات أبي حيان بالظاهر في كتابه البحر المحيط كاملاً.

٢ – عقد مقارنة بين تفسير أبي حيان، وتفسير تلميذه السمين الحلبي (الدر المصون لعلوم الكتاب المكنون) فيما يتعلق بالعمل بظاهر النص القرآني كذلك.

## المصادر والمراجع

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي: بيروت، (د. ط. ت).
٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، (ت١٣٩٣هـ)، دار الفكر: بيروت، ١٤١٥هـ، (د. ط).
٣. إعراب القرآن الكريم، أحمد عبيد الدعاس، بالاشتراك، دار المنير – دار الفارابي: دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ.
٤. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش (ت١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشؤون الجامعية: حمص، دار اليمامة: دمشق، بيروت، دار ابن كثير: دمشق – بيروت، ط٤، ١٤١٥هـ.
٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف بابن قيم الجوزية (ت٧٨١هـ)، خرج أحاديثه وآثاره: مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع: الدمام، ط١، ١٤٢٣هـ.
٦. الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات في أصول الفقه، محمد بن عثمان بن علي المارديني، (ت٨٧١هـ)، تحقيق: عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد: الرياض، ط٣، ١٩٩٩م.
٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، (ت٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
٨. الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل: بيروت، ط٣، (د. ت).
٩. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر: بيروت، ١٤٢٠هـ، (د. ط).
١٠. البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو

الفضل إبراهيم، دار المعرفة: بيروت، ط١، ١٣٧٦هـ.

١١. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر: تونس، ١٩٨٤م.

١٢. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد، ابن جزي الكلبي، (ت٧٤١هـ)، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم: بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

١٣. تفسير الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، الراغب الأصفهاني، (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، ط١، ١٤٢٠هـ، (د. م).

١٤. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة: الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٥. تفسير سورة الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح العثيمين، (ت١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي: الدمام، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٦. تقريب التدمرية، محمد بن صالح العثيمين، (ت١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي: الدمام، ط١، ١٤١٩هـ.

١٧. تقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة ونبذ مذهبية نافعة، محمد بن علي بن شعيب، ابن الدهان، (ت٥٩٢هـ)، تحقيق: صالح الخزيم، مكتبة الرشد: الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٨. التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، (ت١٠٣١هـ)، عالم الكتب: القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ.

١٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٠. جامع البيان عن تأويل أي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢١. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد

البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية: القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.

٢٢. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه: مصر، ط١، ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧م

٢٣. الدرر الكامنة الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن أحمد الشهير بابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن: الهند، ط٢، ١٩٧٢م.

٢٤. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، السمين الحلبي، (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم: دمشق، (د. ط. ت).

٢٥. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت٩١١هـ)، دار الفكر: بيروت (د. ط. ت).

٢٦. الرسالة، محمد بن إدريس المطلبي الشافعي، (ت٢٠٤هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي: القاهرة، ١٩٤٠م، (د. ط).

٢٧. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد، ابن الجوزي، (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي: بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٨. الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين: بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ.

٢٩. طبقات الشافعية، أحمد بن محمد بن عمر، ابن قاضي شهبة، (ت٨٥١هـ)، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب: بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٣٠. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي العلوي، (ت٧٤٥هـ)، المكتبة العنصرية: بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

٣١. العجاب في بيان الأسباب، أحمد بن علي بن محمد، ابن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، تحقيق:

عبد الحكيم الأنيس، دار ابن الجوزي: الدمام، (د. ط. ت).

٣٢. علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، (ت١٣٧٥هـ)، مكتبة الدعوة: القاهرة، (د. ط. ت).

٣٣. غاية النهاية في طبقات القراء، محمد بن محمد بن يوسف، ابن الجزري، (ت٨٣٣هـ)، مكتبة ابن تيمية، عام ١٣٥١هـ، (د. م. ط).

٣٤. فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان بن حسن القنوجي، (ت١٣٠٧هـ)، تحقيق: عبد الله إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية: صيدا، ١٤١٢هـ، (د. ط).

٣٥. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (ت١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب: دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

٣٦. الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)، أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي، (ت٦٨٤هـ)، عالم الكتب: بيروت، (د. ط. ت).

٣٧. فصل في تزكية النفس، أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي (ت٧٢٨هـ)، اعتنى به: فواز العوضي، مكتبة النهج الواضح: الكويت، ط١، ١٤٣٩هـ.

٣٨. الفقيه والمتفقه، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: عادل يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي: الدمام، ط٢، ١٤٢١هـ.

٣٩. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني، (ت٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٤٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، جار الله، (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي: بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٤١. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، (ت٤٢٧هـ)، تحقيق: أبو محمد الطاهر بن عاشور، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤٢. الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة: بيروت، (د. ط. ت).

٤٣. لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الخازن، (ت٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٤٤. اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي، ابن عادل النعماني الحنبلي، (ت٧٧٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، بالاشتراك، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٤٥. اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، محمد علي السراج، دار الفكر: دمشق، ط١، ١٤٠٣هـ.

٤٦. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، ابن منظور المصري، (ت٧١١هـ)، دار صادر: بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٤٧. لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن القشيري، (ت٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ط٣، (د. ت).

٤٨. المجتبى من مشكل إعراب القرآن، أحمد بن محمد الخراط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ، (د. ط).

٤٩. مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: المدينة النبوية، ١٤١٦هـ، (د. ط).

٥٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٥١. المحصول، محمد بن عمر بن الحسن التيمي، الفخر الرازي، (ت٦٠٦هـ)، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط٣، ١٤١٨هـ.

٥٢. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، (ت٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب: بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٥٣. المسند، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخرين،

مؤسسة الرسالة: بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٥٤. معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، محمد بن حسين بن حسن الزهراني، دار ابن الجوزي: الدمام، ط٥، ١٤٢٧هـ.

٥٥. معالم التنزيل، الحسين بن مسعود بن محمد البغوي، (ت٥١٦هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٥٦. معاني القرآن وإعرابه إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، (ت٣١١هـ)، عالم الكتب: بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٥٧. معاني القرآن، سعيد بن مسعدة البلخي، الأخفش الأوسط، (ت٢١٥هـ)، تحقيق: هدى قراعة، مكتبة الخانجي: القاهرة، ط١، ١٤١١هـ.

٥٨. المعتصر من شرح مختصر الأصول من علم الأصول، المناوي، محمود محمد المناوي، مصر، ط١، ١٤٣١هـ.

٥٩. المعجم المختص بالمحدثين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق: الطائف، ط١، ١٤٠٨هـ.

٦٠. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

٦١. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله، جمال الدين، ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر: بيروت، ط٦، ١٩٨٥م.

٦٢. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسن التيمي، الفخر الرازي، (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٦٣. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد، الراغب الأصفهاني، (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية: دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٦٤. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، دار السلاسل: الكويت، ط٢، ١٤٢٧هـ.

٦٥. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت٩١١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية: مصر، (د. ط. ت).

٦٦. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد بن محمد الواحدي، (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية: دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٦٧. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي بن أحمد بن محمد الواحدي، (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود، وآخرين، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٩٩٤م.